الاسلام وتحديات العصر

الكتاب العاشر

ديناميات المجتمع الإسلامي

تاليف

دكتور عبد الغني عبود

كلية التربية جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الطبعة الأولى

يونيو ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

— « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم »

(قرآن كريم : المائدة — ٥ : ٣٣ ، ٣٤) .

* * *

— « وإذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً »

(قرآن كريم : الإسراء — ١٧ : ١٦) .

* * *

— « يأيها الذين آمنوا ، إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ، فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »

(قرآن كريم : الجمعة — ٦٢ : ٩ ، ١٠) .

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السلسلة

ليست هذه السلسلة ، سلسلة دينية ، بالمعنى التقليدى ، كما يبدو للوهلة الأولى ، من عنوانها ، وإن كان الدين الإسلامى، يعتبر محورها الأساسى .

ولقد كان الدافع إلى إصدار هذه السلسلة ، بعيداً كل البعد عن الدين ، قريباً كل القرب،من العلم الخالص ... فى مجال التربية ، الذى تخصصت فيه ؛ وحوله تدور قراءاتى ودراساتى ، وما أقوم به من أبحاث .

وصحيح أن الدين ، ليس حكراً على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والآدب واللغة ... والتربية ، ولكن المتخصصين فيه — بالضرورة — أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه، لا بد أن يكون عطاؤهم أقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع إلى إصدار هذه السلسلة ، إلى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا (سمنار) الدراسات العليا ، بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد أحد الدارسين ، تسجيل رسالة، عن (التربية الإسلامية) ، يحصل بها على درجة الماجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء - الأساتذة - عليه ، بأنه لا يوجد — للأسف — تربية إسلامية (١) .

ولم يكن بين يدى الرد — ليلتها — على الزميل ، ولا قدرة — بالتالى — على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليل .

ورجعت إلى ما كتب عن (التربية الإسلامية) ، فى الكتب والمجلات

---

(١) ألف الزميل كتابا فى التربية الاسلامية ، بعد حوالى أربع سنوات من قوله هذا ؛ وذلك عندما صار (الحصان الاسلامى) ، هو (الحصان الرابح) ، فى الساحة العالمية .. كما هو واضح اليوم ... بحمد الله .

العلمية ، فلم أجد فيما كتب متصلا بالتربية الإسلامية ، سوى . . العنوان ، رغم أن بعض ما قرأته ، كان لمفكرين إسلاميين . . كبار .

وكان على أن أعتمد على الله وعلى نفسى، فى التصدى لهذه المغالطة العلمية، التى يقول بها بعض رجال التربية عن جهل، ويسكت عنها البعض الآخر، عن قصور.

وجمعت المادة العلمية فيما يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هذه المادة ، وكتبت بالفعل — على أساسها — كتابا متكاملا عن (الأيديولوجيا والتربية فى الإسلام) ، ولم يكن ينقصه سوى أن يدفع به إلى المطبعة ، ليرى - بعدها - النور ، ويبث - بعدها - نور الحقيقة فى قلوب الجاهلين بها ، والمتغافلين لها .

ثم عدت إلى نفسى ، وقلت لها : ولكن المسئولية أمام الله أكبر من هذا الجهد الذى بذلته ، فقد كان لا بد - فى نظرى - من مزيد من البحث .

وقلت لنفسى أيضاً : ولكن هذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جدير بأن يرى النور .

واستقرت نفسى على أن ألخص هذا الذى كتبته ، فى ستين صفحة، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ .

ثم استقرت بعد ذلك على نشر هذا المقال ، مع مقالين آخرين ، ظهرا فى مجلات علمية أخرى ، عن (التربية الإسلامية) ، فى كتاب يصدر قريباً تحت عنوان (مقومات فى التربية الإسلامية) ، نظرا لأن كل مقال من المقالات الثلاثة ، قد صدر حيثما صدر — مليئاً بالأخطاء المطبعية ، التى أفسدت المعنى الذى كنت أريده فى بعض المواقف إفساداً[١] .

---

(١) صـــدر الكتاب بالفعــل ، بعد الطبعة الأولى للكتاب الأول من السلسلة ، تحت عنوان (فى التربية الاسلامية) ، ونشرته دار الفكر العربى، سنة ١٩٧٧ ، وضم الى جانب المقال المذكور ، مجموعة مقالات ، نشرت فى مجلات علمية مختلفة ، بمناسبات مختلفة ، تدور كلها حول هذا المحور ، الذى اتخذ عنوانا للكتاب .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهومى عن الإسلام ، وعن (الشخصية الإسلامية) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن (التربية الإسلامية) .

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضوء (الشخصية القومية) لذلك المجتمع ، وبدون تلك (الشخصية القومية) ، يكون نظام التربية — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقا فى الهواء .

وفى ضوء تلك (الشخصيه القومية)، درست — وتدرس — التربية فى البلاد الرأسمالية عموما ، وفى كل بلد منها ، كما تدرس التربية فى البلاد الشيوعية عموماً ، وفى كل بلد منها .

وفى ضوئها كذلك ، درست ـ وتدرس ـ التربية المسيحية ، والتربية اليهودية .

أما التربية الإسلامية . . فلم تجد حتى الآن — فى حدود علمى — من درسها هذه الدراسة العلمية المنهجية .

ومن ثم كان هناك من يقول، بأنه لا توجد تربية إسلامية ، لأن الشخصية الإسلامية اليوم شخصية ، لا هى إلى الإسلام تنتمى ، ولا هى عن الإسلام تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية، شرا على الإسلام وخطرا عليه ، أكبر من الشر والخطر الذى يستطيعه أعداء الإسلام أنفسهم .

ومن ثم فالشخصية القومية الإسلامية المعاصرة ، لا يمكن أن تكون هى المدخل الصحيح لفهم التربية الإسلامية ، وإنما المدخل الصحيح لها ، هو تلك الشخصية القومية الإسلامية، فى عصور الإسلام الأولى .

ولو عاد المسلمون إلى فهم الإسلام من جديد ، كما يجب أن يفهم ، لعادوا إلى أنفسهم ، وعادت إليهم قوتهم وعزتهم . . وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بها ، أكدت لى ، أن الإسلام قادر على مواجهة (تحديات العصر) ، وأن المسلمين ـ بالإسلام ـ قادرون على مواجهة تلك التحديات ، وأنهم — بدونه — عاجزون .

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة .. تربويا خالصا .

ولكنه هدف .. دينى أيضاً .

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الإسلام الكثير ، وهم يعرفون عنه ، ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم .. من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة .

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة — ذات البريق — الأخاذ — الكثير والكثير . . لأن غيرهم أراد ذلك لهم . . بفعل عوامل متعددة كذلك .

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسله ، هى : أن تضع الإسلام — بجوانبه المتعددة — وجها لوجه — أمام النظم والفلسفات المعاصرة .. لترى : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر .

وعندما يكتشف المسلم، أن إسلامه هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، إن هى إلا ألوان من العلاج مؤقتة . . مفلسة ، فإنه — لا بد — سيعود إلى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه . . وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ . . الخادع .

وعند هذا الحد ، تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت،على أنها ليست سلسلة دينية بالمعنى التقليدى .

ومن أراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبه معروفة ، وكتابه معروفون ،

ولكن المسلمين الذين أكتب هذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين منذ البداية،لأن يضيعوا وقتا، فى قراءة تلك الكتب الدينية، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الإسلام — كما فهموه — لا يصح أن يضيعوا فيه وقتا ، يضيعون أكثر منه، فى المذاهب ذات البريق .. الخداع .

وبعد اتضاح (معالم الشخصية القومية) الإسلامية ، مقارنة بمعالم (الشخصيات القومية) الأخرى ، التى نراها فى ظل الأيدلوجيات المعاصرة ،

من زوايا عديدة .. وذلك من خلال هذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فألخص ما وصلت إليه ، وأتخذ منه منطلقا ، للحديث عن (التربية الإسلامية) .

والجهد الذى يجب أن يبذل فى إعداد هذه السلسلة كبير ، والجهد الذى يجب أن يبذل بعدها فى الحديث عن التربية الإسلامية كبير .. ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الإسلامية — بعدها — فى نظرى — أكبر وأعظم ، وفى سبيله تهون الصعاب ، وعلى الله قصد السبيل ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ .
— مايو ١٩٧٦ م .

وهذا الكتاب العاشر

ما أسهل أن يدور التفكير فى شئون مجتمع ما، حول مجموعة من الأفكار الخيالية الحالمة ، على نحو ما فعل أفلاطون ، فى مجتمعه المثالى أو الطوباوى، كما نراه فى (الجمهورية) ، قبل الميلاد، أو السير توماس مور ، فى انجلترا ، إبان الإصلاح الدينى ، أوغيرهما من المفكرين الطوباويين ، الذين فاضت بهم مجتمعات أوربا ، بعد ثورتها الصناعية ، وكان أشهرهم على الإطلاق ، هو كارل ماركس ، صاحب (توليفة) الاشتراكية العلمية ، التى (فرضت) على الاتحاد السوفيتى ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم (فرضت) على بلاد أوربا الاشتراكية والصين ، بعد الحرب العالمية الثانية .

وإذا كان مثل هذا التفكير الحالم ، أو الطوباوى ، قد حدث ، ولا يزال يحدث ، حيث تزيد عوامل (القهر) فى داخل المجتمع ، ويزيد (التهديد) الخارجى له ، فلا يملك المفكرون فيه ، إلا أن (يحلموا) بيوم ، لا يمكن أن يأتى ، وبمجتمع لا يمكن أن يكون .. فإن مثل هذا التفكير الحالم ، لا يمكن أن يحدث فى مجتمع إسلامى ، لأن المجتمع الإسلامى ، يقوم على (أكتاف) المسلمين ، الذين عمر الإيمان قلوبهم ، وحال بينها وبين (عوامل القهر) تلك ، حتى ولو وصل التهديد ، إلى حد الغزو ، كما حدث فى التاريخ الحديث ، حيث كانت كل البلاد الإسلامية تقريبا ، واقعة تحت سيطرة الاستعمار .

ولا يعنى ذلك، أنه لا توجد (مثاليات) فى المجتمع الإسلامى ، ولكنه يعنى أن المثاليات الإسلامية ، تختلف عن كل مثاليات ظهرت فى التاريخ، بأنها مثاليات قابلة للتطبيق ، لأنها ليست (ردود أف[illegible] لواقع اجتماعى سيء ، دعا إليها ، بعض (المفكرين) ، كما حدث فى التجارب التى سبقت

إشـارة إليها ... ولـكنها مثاليات ، وضعها الله سبحانه وتعالى للمسلمين ، لينقلهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور ، ومن الشقاء إلى سعادة ، ومن الضعف إلى القوة .

فهى مثاليات بالمعنى (الربانى للمثاليات)، وليست مثاليات بالمعنى (البشرى)، هذه المثاليات .

ومن ثم كانت أهمية هذا الـكتاب — العاشر ، بعد الـكتاب السابق ، من كتب السلسلة .

لقد دار الـكتاب السابق ، حول (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) واتخذ من (الربانية) و (الإنسانية) و (النظافة) و (التراحم) ، محاور ، دارت حولها الدراسة كلها ، ومن خلالها حاولنا إظهار هذه (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) .

والمحاور الأربعة ، التى دارت حولها الدراسة ، يمكن أن يجد فيها مرضى القلوب — وما أكثرهم — نزعة مثالية أو خيالية أو طوباوية ، رغم أننا حاولنا فى الدراسة ، أن نبتعد قدر الإمكان ، عن التحليق فى آفاق الخيال وهو منحى التزمنا به فى هذه السلسلة ، منذ كتابها الأول

وحتى نقطع على هؤلاء المرضى الطريق ، كان لا بد من كتاب تال، لهذا الكتاب ، الخاص بالملامح ، ينصرف كله ، إلى (واقع) هـذا المجتمع الإسلامى .

وحول (واقع) هـــذا المجتمع الإسلامى ، يدور هذا الـكتاب العاشر ، من كتب السلسلة .

ومن ثم فهذا الـكتاب العاشر من كتب السلسلة ، متمم لـكتابها التاسع .

ووظيفة هذا الكتاب، ترجمة المحاور الأربعة ، التى دار حولها الكتاب التاسع ، وهى (الربانية) و (الإنسانية) و (النظافة) و (التراحم) .. إلى واقع حى ، من خلال ممارسات الإنسان المسلم .. والمجتمع المسلم .. اليومية .

ومن ثم كانت المحاور ، التى دار حولها هذا الكتاب ، هى مجموعة من الديناميات، تبدو من خلالها (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى)، التى تحدثنا عنها ، فى الكتاب السابق من كتب السلسلة ، أولاها (دينامية النشاط الاجتماعى) ، وثانيتها (دينامية النشاط الاقتصادى) ، وثالثتها (دينامية النشاط السياسى) ، ورابعتها هى .. التخطيط .

وما أحسب نشاطا يوميا لفرد — وجماعة ، يدور حول محاور ، أكثر من هذه المحاور الأربعة ، التى اتخذت محاور لهذا الكتاب .

وقد جرى نهج التعامل مع هذه المحاور ، على نفس النهج الذى جرى به التعامل، مع المحاور التى اتخذت ، فى كل كتاب سبق من كتب السلسلة ، حيث يتم استعراض الوضع الراهن ، للمحور المتناول ، أو للقضية المطروحة ، فى الشرق والغرب على السواء ، ثم يعرض رأى الإسلام بعد ذلك ، فى نفس المحور ، أو القضية .

ومن ثم يبدو - من خلال العرض - مدى (تفوق) الفكرة الإسلامية ؛ عن غيرها من الأفكار ، سواء فى إطارها النظرى أو الفلسفى ، وفى مجالها التطبيقى أيضاً .

وليس الهدف هو المقارنة ، إذ لا مجال للمقارنة - كما مضى فى أكثر من مكان ، فى كتب السلسلة السابقة — بين (الكمال) الإلهى ، الذى فى النظام الإسلامى ، وبين (النقص) البشرى ، الذى نراه فى النظم المعاصرة .

وإنما الهدف هو ، أن نطرح القضايا على بساط البحث ، ولو لمجرد التفكير ، خاصة بالنسبة لأولئك الذين خدعهم بريق النظم المعاصرة ، متأثرين — بطبيعة الحال — بما أنجزته هذه النظم ، من مستوى حضارى: وإنجازات مادية ، وتفوق علمى .. لا يمكن إنكاره .. فى مقابل ما يعيشه المسلمون اليوم من تخلف ، يعزوه الاستعمار الغربى الصليبى الحاقد ، إلى الإسلام ، ليصرف المسلمين عنه .. وينساق هؤلاء المخدوعون ، إلى هذا الرأى ، نتيجة لجهلهم بالإسلام بطبيعة الحال ، بسبب نظم التعليم العلمانية ، المفروضة على العالم الإسلامى ، لأسباب كثيرة ، ليس هنا مجال ذكرها .

ووظيفة هذا الكتاب ، كوظيفة كل كتاب سبق من كتب هذه السلسلة ، هو مجرد إثارة مجموعة من القضايا ، لمن أراد أن يفكر بعدها أو يتفكر ، وأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت عرضه من قضايا ، وأن يكون هذا الكتاب ، قد حقق الغرض منه .

وعلى الله قصد السبيل ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : رجب ١٤٠٠ هـ .

— يونية ١٩٨٠ م .

الفصل الأول

معنى المجتمع

تقـــديم :

واجه الإنسان الأول حياته ، وحيداً .

وواجه هذا الإنسان الأول ، هذه الحياة ، أعزل . . إلا من عقله ، فلقد كان هـذا العقل الإنسانى ، هو (منحة) الله الكبرى للإنسان ، وبه حول ضعفه قوة ، وجمع من أسلحة الدمار فى يديه ، ما فاق الخيال ، وعرف أسرار الطبيعة من حوله ، ثم (سخر) هذه الطبيعة ـ فيما بعد ـ فصارت مطية ذلولا له .

ولقد كان هذا (العقل) الإنسانى ، هو معجزة الله فى هذا الإنسان ، ومناط تفضيل الإنسان ، على غيره من خلق الله ، فى قصة هذا الخلق المشهورة ، التى يأتى فيها قوله سبحانه :

— « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم : إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ؟ وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس ، أبى واستكبر ، وكان من الكافرين » (١) .

---

(١) قرآن كريم : البقرة ـ ٢ : ٣١ ـ ٣٤ .

وبهذا العقل ، كانت للإنسان حضارته .

ولكن هذه الحضارة ، استعصت على الإنسان ، حتى عاش فى جماعة .

ولانتقال الإنسان إلى حياة الجماعة ، وتشييده ـ من خلالها ـ حضارة ، قصة ، يجدر بنا أن نبدأ بها الموضوع .

الانسان الأول :

فى كتابنا الثالث من هذه السلسلة ، عن (الإسلام والكون) ، استعرضنا ـ فى الفصل الثانى منه ـ قصة (الحياة على الأرض)(١)، وفيه رأينا، أن « النظام الشمسى، عبارة عن كتلة سديمية تهشمت ، فتناثرت شموسا كبيرة، منها شمسنا هذه ، وحول هذه الشمس ، تكونت مجموعة الكواكب ، ومنها كوكبنا هذا (الأرض) »(٢) . . .

وفى هذا الفصل أيضا، استعرضنا الآراء المختلفة، حول(عمر)الأرض ، ورأينا أنه لا يوجد (اتفاق) بين العلماء والمتخصصين حوله ، فعالم الفيزياء المشهور ، اللورد كلفين ، يقدره « بنحو ٤٠ مليون سنة » ، « ثم جاء العالم (جولى)، و« توصل إلى تقدير عمر الأرض ، بنحو ٨٠ — ٩٠ مليون سنة » ، وتراوحت تقديرات « علماء الجيولوجيا (طبقات الأرض) » ، « بين ٢٥ - ١٠٠ مليون سنة »(٣) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — مايو ١٩٧٧ ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) الدكتور انور عبد العليم : قصة التطور — رقم (٤) من (المكتبة الثقافية) — دار القلم ومكتبة النهضة ، ص ٣ — ٥ .

بل إن بعض التقديرات الجيولوجية ، تصل به إلى « ٢٥٠ مليون سنة » ، وبعضها إلى « ٥٦٠ مليون سنة » (١) ، وبعضها يقدر عمر القشرة الأرضية نفسها ، « بنحو ٢٠٠٠ مليون سنة » ، وبعضها يقدرها بنحو « ٥٠٠٠ مليون سنة ، أو أكثر من ذلك بقليل » (٢) .

وهكذا يتراوح عمر الأرض ، فى نظر العلماء ، بين ٢٥ مليون سنة ، وبليون سنة (٣) .

ومثلما يختلف تقدير عمر الأرض ذاتها ، هذا الاختلاف الهائل ، فى تقدير العلماء - يختلف عمر الإنسان عليها ، بين «نحو ألف، أو ألف وخمسمائة مليون سنة » (٤) ، وبين نحو « ثلاثة آلاف مليون عام » (٥) ، حيث « استقرت دورة الكربون ،ونمت النباتات. . وتطورت الحيوانات »(٦) ، وصارت الأرض مستعدة ، لاستقبال هذا الإنسان ، ليعيش عليها .

---

(١) الدكتور عبد الحميد سماحة ، والدكتور عدلى سلامة : الفلك والحياة — رقم (٥) من (المكتبة الثقافية) — دار القلم بالقاهرة — ١٥ ديسمبر ١٩٦١ ، ص ١٠ .

(٢) الدكتور أنور عبد العليم (المرجع الأسبق) ، ص ٧ — ٩ .

(٣) عبد الرزاق نوفل : السماء وأهل السماء — الطبعة الأولى — مطبوعات دار الشعب — ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ، ص ١٢٢ .

(٤) الدكتور أنور عبد العليم (المرجع الأسبق) ، ص ٢٣ .

(٥) الدكتور محمد يوسف حسن : قصة كوكب — رقم (٦٨) من (المكتبة الثقافية) — دار القلم بالقاهرة — أول سبتمبر ١٩٦٢ ، ص ٦ — من المقدمة .

(٦) عبد الرزاق نوفل : السماء وأهل السماء (مرجع سابق) ، ص ١٢٢ .

ولو اعتبرنا عمر الإنسان على الأرض ، يعود إلى ما يقرب من مليون سنة (١) فقط ، لا إلى ألف مليون سنة ، أو ثلاثة آلاف مليون سنة ، على حد تقدير الدراسات السابقة ، فإن الإنسان لم يبدأ فى دخول التاريخ المدون ، إلا « منذ ستة آلاف سنة فقط (منذ سنة ٤٠٠٠ ق . م) » ، و «معنى ذلك ، أن الإنسان قد قضى » ، « فيما قبل التاريخ المدون » ، « أكثر من ٩٩٤ ألف سنة ، أى أكثر من ٩٩ ٪ من عمره على الأرض ، والأقل من ١ ٪ الباقية من عمره ، قضاها فيما يسمونه ، (بالعصور التاريخية) » (٢).

ويلاحظ الدارسون ، أن بداية دخول الإنسان ، تاريخه المدون ، يعود إلى اكتشافه للنار ، «فقد كان للنار دور هام ، على مر العصور ، منذ العصر البرونزى ، والعصر الحديدى ، ثم العصر الآلى » (٣) .

ولقد كان اكتشاف الإنسان للنار - فى نظر هذه الدراسات - صدفة ، كاكتشافه لأمور كثيرة غيرها ، ولكنه يوم اكتشفها ، « أحس بقوتها وبأسها ، فخاف منها بادىء الأمر ، وتملكه الذعر والفزع ، ولكنه ما لبث

---

(١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ ، ص ٤٥ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ٧٥ .

(٣) الدكتور هارى نيكولز هولمز : قصة الكيمياء ، من خلال انبوبة الاختبار — ترجمة الدكتور الفونس رياض ، والدكتور عبد العظيم عباس — مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل — رقم (٢٨٤) من (الألف كتاب) — مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ص ٢٣ .

أن سيطر عليها ، وألبسها اللجام ، فاستغلها لتمده بالحرارة والدفء » ، « ثم استغلها لتولد له البخار ، وأنشأ الآلة البخارية ، فسير بها وسائل انتقاله ، وأدار بها المصانع الضخمة ، وأنتج بها الكهرباء ، إلى آخر ذلك ، من مختلف الاستخدامات ، التي تعتمد على الطاقة المحركة » (١) .

ولقد كان اكتشاف الإنسان للنار ، ثم ألفته لها ، وسيطرته عليها ، بداية النهاية لبدائيته ، إذ باكتشافها ، « تمكن الإنسان من إطالة يومه ، كما استطاع أن يطارد الحيوانات المفترسة ، وأن يطهو طعامه ، ويجلب الدفء والراحة لحياته » ، ولولاها « لظل الإنسان بدائيا ، يأكل اللحوم النيئة ، ويسكن الكهوف والجحور ، معتمداً كل الاعتماد ، على قوة عضلاته » ، « قابعا في الظلام ، بعد مغيب الشمس » (٢) .

لقد بدأ الإنسان — بعد اكتشاف النار — يترك الكهوف والجحور ، وبدأ — بالتالي — يتجمع في جماعة صغيرة — كما بدأ « يترك كهفه ، ويحاول أن يبني لنفسه مسكنا » ، و « أن يجد مأواه ، تحت الأشجار ، متخذا منها كوخا بسيطا » (٣) .

---

(١) دكتور حسن حسني ابو السعود : « النظائر المشعة في خدمة الصناعة » — **الذرة في خدمة السلام** — مجموعة المحاضرات ، التي القيت بالمؤتمر السنوي السادس والعشرين ، للمجمع المصري للثقافة العلمية ، الذي عقد في المدة من ٣١ مارس الى ٥ ابريل سنة ١٩٥٦ — رقم (٢٧) من (الألف كتاب) — مكتبة نهضة مصر ، ص ١٨٦ .

(٢) الدكتور هاري نيكولز هولمز (مرجع سابق) ، ص ٢٣ .

(٣) ثيا وريتشارد برجير : من الحجارة الى ناطحات السحاب (قصة العمارة) — ترجمة المهندس محمد توفيق محمود — دار النهضة العربية — ١٩٦٢ ، ص ٨ ، ٩ .

وبتجمع الإنسان فى جماعات صغيرة ، بدأت عمليات الهجرة البشرية، إلى هنا وهناك ، بحثاً عن الفرصة الأحسن، والأرض التى يكون فيها استقرار. ويلاحظ العلامة العربى ، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ — ١٤٠٥ م) ، أن « المعمور من هذا المنكشف من الأرض ، إنما هو وسطه ، لإفراط الحر فى الجنوب منه ، والبرد فى الشمال . ولما كان الجانبان ، من الشمال والجنوب ، متضادين من الحر والبرد ، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط ، فيكون معتدلا » . « وجميع ما يتكون فى هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة ، مخصوصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر ، أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا ، حتى النبوءات ، فإنما توجد فى الأكثر منها » (١) .

ولقد ظلت الهجرات البشرية ، من هنا وهناك ، إلى هنا وهناك ، فترة طويلة ، وكان يحكمها — فى وجهتها — اعتدال الجو ، واعتدال الأرض ، وتوفر مصادر المياه ، فإن « ثراء سكان الصحراء ، يتصل اتصالا مباشرا ، بمصادر الماء عندهم ، فحيث تتوفر المياه ، يزدهر الاقتصاد ، وحيث تنضب ، تصعب الحياة . وهذه القاعدة ، تنطبق بصفة خاصة ، على الحضارات القديمة ، وأكبر دليل عليها ، هو مصر ، التى تكونت كأعظم واحة فى العالم ، حول النيل ، حتى سميت بوادى النيل ، الذى يجرى مسافة ١٦٠٠ ميل ، فى صحراء قاحلة ، فينشر على شاطئيه الخصب والنماء ، حيث استطاع المصريون أن يشيدوا عليهما ، واحدة من أعظم الحضارات

---

(١) مقدمة العلامة ابن خلدون — المكتبة التجارية الكبرى ، ص ٨٢ (من المقدمة الثالثة ، عن : المعتدل من الأقاليم والمنحرف ، وتأثير الهواء على ألوان البشر ، والكثير من أحوالهم) .

التاريخية الفعالة » (١) .

مولد الجماعة الانسانية :

فى هذا الجو ، الذى تلا اكتشاف الإنسان للنار ، بدأت الجماعة الإنسانية الأولى تولد ، وبمولدها ، بدأت الهجرة البشرية للجماعة الوليدة ، بحثا عن الفرصة الأحسن ، وعن المكان الأكثر أمنا ، فلقد « تعرض العالم القديم ، منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، لهجرات متعددة ، قامت بها قبائل جبلية ، غير متمدنة ، تسكن المناطق الوسطى من آسية » ، « وانحدرت من مناطقها الجبلية ، فى أوقات متفاوتة ، متجهة نحو الجنوب والغرب ، تسعى وراء أوطان جديدة ، تفيض بخير أوفر ، مما تقدمه لهم بيئتهم الجبلية » ، « واتجه البعض منهم نحو بلاد أفغانستان ، ووصلوا إلى بلاد السند » . « وفى نفس الوقت ، كانت فلول منهم » ، « قد وصلت إلى أواسط العراق ، وهاجمت مدينة بابل » ، « كما نزل البعض الآخر ، إلى المناطق الشمالية من العراق » . « وهناك أيضا القبائل ، التى استمرت فى هجرتها نحو الغرب ، ووصلت إلى آسية الصغرى ، واستقرت فيها » . « ومنها أخيرا ، تلك الفلول التى استمرت فى هجرتها البطيئة ، نحو الجنوب ، ووصلت إلى مناطق سورية وفلسطين ، وبعد أن استقرت فيها بعض الوقت ، وامتزجت بأهلها ، عاودت التحرك ، نحو مصر » (٢) .

أى أن هذه الهجرات ، كانت نحو وديان الأنهار ، حيث « تربة السهول النهرية » ، « تتجدد باستمرار ، برواسب من مياه الفيضانات ، وبالتالى فهى

(1) LEOPOLD, A. STRAKER and the Editors of LIFE: The Desert; LIFE Nature Library, Time-Life International (Nederland) N. V., 1963, p. 146.

(٢) الدكتور عبد المنعم ابو بكر : اخناتون — رقم (٣٥) من (المكتبة الثقافية) — وزارة الثقافة والارشاد القومى — الادارة العامة للثقافة — دار القلم بالقاهرة — ١٥ ابريل ١٩٦١ ، ص ٥ .

لا تجهد أبداً،من أثر الزراعة » ، وحيث الجماعات الإنسانية ، « تستطيع البقاء في استقرار » ،على «بذر البذور ، ونمو المحاصيل ، وحصادها » ، عدة مرات في السنة . وبفضل مثل تلك المصادر الوافرة من الغذاء ، ازداد عدد السكان ، ونشأت القرى ، فالمدن ، وأخيرا نمت المدن الكبرى ، واستكملت مقوماتها » (١) .

ولم تقف مهمة الأنهار — في رأى آن تيرى هوايت — عند حد توفير المياه العذبة ، للشرب ، وللزراعة ، ولصيد السمك ، والانتقال من مكان إلى مكان ، فإن « شيئا آخر غير الإنسان ، كان ينتقل أيضا على صفحات مياه الأنهار .لقد سارت الأفكار والآراء ، بطريق النهر ، مع الإنسان » (٢) .

وعلى ضفاف هذه الأنهار أيضا ، تشكلت الحضارة الإنسانية الأولى ، وكان دافعها ، هو « الحاجة إلى العمل ، للسيطرة على النهر » (٣) .

وحسب (ظروف) هذا النهر ، الذى استقرت حوله الجماعة ، تكونت (المجموعات) الأولى (للأفكار)،الناتجة عن (التفكير المشترك)، لأبناء هذه الجماعة ،فقد « صنع إنسان بكين ،الأدوات والأسلحة » (٤) مثلا ،

---

(١) هـ . هـ . سوينرتون : الأرض من تحتنا — ترجمه الدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور فتح الله عوض — راجعه الدكتور جلال الدين حافظ عوض — رقم (٥٩٢) من (الألف كتاب) — مؤسسة سجل العرب — ١٩٦٦ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٢) آن تيرى هوايت : الأنهار العظيمة في العالم — ترجمة وتقديم العميد ا.ح. محمد عبد الفتاح ابراهيم — اشراف ومراجعة الدكتور محمد صابر سليم — رقم (١٨) من سلسلة (كل شيء عن) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٤ ، ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٤) سام وبريل أيشتين : انسان ما قبل التاريخ — ترجمة احمد محمد عيسى — مراجعة الدكتور كامل منصور — رقم (٢٢) من سلسلة (كل شيء عن) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٥ ، ص ١٤ .

ليجابه بها الحياة القاسية ، غير الآمنة ، على ضفاف أنهاره ، بينما كان نهر النيل ، هو الذى وجه المصريين فى أول الأمر ، إلى الحياة الزراعية ، والعلوم الهندسية والفلكية ، ثم بقية العلوم المتعلقة بذلك ، لعرفان فصول السنة ، وأوقات الزراعة ، ومساحة الأرض ، وتنظيم المساحات الزراعية »(١) - بينما اشتهرت بابل ، «(بحدائقها المعلقة) ، وهى أعجوبة أخرى من عجائب الدنيا السبع»(٢). « ولإيمان هذا الشعب بالخرافات ، كان يصنع تماثيل ، على هيئة ثيران ، لها رءوس آدمية ، لتحرس مداخل القصور ، من الأرواح الشريرة »(٣) .

ولقد كانت (لقمة العيش) ، هى المحور الذى دار حوله نشاط الجماعات الإنسانية الأولى ، تماماً كما كانت هى المحور ، الذى دار حوله نشاط الإنسان الأول ، ومن أجلها ، ظل الإنسان ، ينتقل مئات الآلاف من السنين ، من مكان إلى مكان ، قبل أن (يستقر) على ضفاف الأنهار ، ومن أجلها استأنس ما استأنس من حيوان ، وناصب بعض الحيوانات العداء ، وتوصل إلى أنجع الوسائل للقضاء عليها ، أو لحماية نفسه منها على الأقل ، ومن أجلها كان يخرج كل صباح ، من المأوى الذى قضى فيه ليله : يفكر فى الحصول عليها ، بأيسر طريقة ممكنة ، ويعلم أولاده كيف يحصلون عليها .

و (باستقرار) الإنسان القديم على ضفاف الأنهار ، بعد مئات الآلاف من السنين ، قضاها فى التنقل والقلق وعدم الاستقرار ، بدأ يعرف حياة (الأسرة) ، وبدأ يعرف (منزلا) ينزل فيه ، كلما أحس التعب ، وهو يسعى على (لقمة العيش) ، ويأوى إليه إذا جن الليل ، يريح فيه جسده ،

---

(١) السيد محمود ابو الفيض المنوفى : اصالة العلم ، وانحراف العلماء رقم (٤) من (موسوعة وحدة الدين والفلسفة والعلم) ـــ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـــ ١٩٦٩ ، ص ٧ .

(٢) ثيا وريتشار برجير (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

الذى أضناه سعى نهاره عليها ، كما بدأ فى صناعة أدوات وآلات ومعدات وآنية بدائية ، من الطين والخشب والقش... »(١) - ثم بدأ يعيش فى جماعة ، كما سبق ، يجمعه معها (الصالح المشترك) له ولها ، وبدأ ينتقل مع هذه الجماعة ، من مكان إلى مكان ، قبل أن يستقر ، فى جماعات صغيرة ، على ضفاف الأنهار .

وعلى ضفاف الأنهار ، بدأت هذه الجماعات تنمو ، لتنتقل من مرحلة (الجماعة الإنسانية) ، إلى مرحلة (المجتمع الإنسانى) .

المجتمع الانســانى :

ومر الإنسان ، باستقراره ، فى عدد من (الثورات) ، كانت أولاها ، هى (الثورة الزراعية) ، التى توصل إليها من خلال تعامله مع (الأرض) ، التى استقر فيها ، والتى تعلم - فيها - « معنى توزيع العمل وتحديده ، ومعنى تداخل المصالح ، والتعاون مع الآخرين ، لتحقيق الأهداف الجماعية »(٢) ، والتى تساوى - فى أهميتها - « أهمية الثورة الصناعية ، على أقل تقدير . ومعناها الأساسى ، إحلال إنتاج الطعام ، بطريقة دائمة منتظمة ، محل جمع الطعام ، من هنا وهناك »(٣) .

وزاد عدد القرى ، وزادت كثافتها السكانية ، وتعقدت مصالح الناس

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

(2) SMITH, WILLIAM A. : Ancient Education; Philosophical Library, New-York, 1955, p. 13.

(٣) كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين — ترجمة عثمان نويه — تقديم صلاح دسوقى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ ، ص ٢٨ .

بها ، وصار أمرها يستدعى ظهور (المدن) ، كمراكز تتوسط القرى ، وتقوم لها بما تحتاج إليه من خدمات ، لا تتوفر للقرى ، ولكنها لاتستغنى عنها ، سواء ما يتصل منها بالصناعة ، وما يتصل بالتجارة .

ومن هنا كانت الثورة الثانية ، هى (الثورة الصناعية) ، التى تفجرت فى هذه المدن ، والتى أدت إلى ترابط الجماعات الإنسانية، الموجودة فى القرى، وإلى خلق المجتمع الإنسانى ، وإلى رقى هذا المجتمع، وولوجه عصر الحضارة والاختراع ، ففى مصر القديمة مثلا ، حيث بدأت « الخطوات الأولى للمدنية والعمران » (١) ، « ترقت صناعة الأدوات الحجرية وتهذبت ، ووصلت إلى درجة عالية من الحدة والصقل ودقة الصنع » (٢) ، ثم ارتقت صناعات المعادن بعد ذلك ، ووصلت إلى نفس الدرجة من دقة الصنع ، حتى لقد سميت مصر ، « بأم الفنون الميكانيكية » (٣) .

وبزيادة عدد المدن ، وتشابكها ، وتقدم حضارتها ، بدأت (الدولة القومية) فى الظهور ، حينما اتحدت هذه المدن جميعا ، تحت لواء مدينة واحدة منها ، وتحت سيطرة رجل قوى ، استمد قوته ، من أى مصدر من مصادر القوة .

ولقد ظهرت (الدولة القومية) ، فى وقت وصل فيه (الازدهار)

---

(١) ك . ر . تيلر : الكيمياء والانسان — ترجمة الدكتور حسن عابدين — مراجعة الدكتور عبدالفتاح اسماعيل — رقم (٤٤١) من (الألف كتاب) — دار الهلال — ١٩٦٢ — ص ٥ — من التقديم ، للدكتور عبد الفتاح اسماعيل .

(٢) دكتور سعد مرسى احمد : تطور الفكر التربوى — عالم الكتب — ١٩٧٠ ، ص ٥٣ .

(3) MONROE, PAUL: A Cyclopedia of Education, Volume Two; The Macmillan Company, New - York, 1911, p. 423.

الاقتصادى درجة ، صار فيها التفكير فى أمور الميتافيزيقا ، أو ما وراء الطبيعة ، هو الحاجة الملحة .

ومن ثم صار (الدين) ، هو شغل المجتمعات الشاغل ، فى هذه المرحلة الأخيرة ، من مراحل التطور البشرى . و « الدين ـ فى أبسط تعريفاته ـ هو تفسير للحياة ، تفسيرا يكون له أثره،على الفرد وعلى المجتمع،على السواء ، ومثل هذا التفسير ، لا يحس الإنسان ـ ولا يحس المجتمع ـ بالحاجة إليه ، إلا إذا كان قد وصل إلى درجة من الحضارة والمدنية والرقى ، يكون بها ، قد تجاوز الانشغال بالجسد وحاجاته ، بعد أن أمن لنفسه سبل الحصول على تلك الحاجات ، فلم يعد الحصول عليها ، مما يشغل باله وفكره ، فيتجه تفكيره إلى ما وراءها .

ولذلك ، فقد وجد فكر دينى معين ، فى كل مجتمع من المجتمعات القديمة ، وصل إلى درجة معينة من الحضارة ، وذلك قبل أن تتنزل رسالات السماء ، فوجدت البراهمانية والبوذية والكونفوشيوسية والتاوية والزردشتية والمزدية وغيرها ، وكل منها ـ ببساطة ـ ليس إلا تفسيرا للحياة ، يذهب إليه رجل عبقرى ، يعكس به ظروف مجتمعه وفلسفته وقيمه ومثله العليا ، أكثر مما يقدم ذلك التفسير الحقيقى للحياة ، كما فعلت الأديان السماوية بالفعل ، فيما بعد » (١) .

ولم يكن غريبا ، ما رأيناه فى كتابنا الثانى من كتب السلسلة ، عن (الله والإنسان المعاصر) ، من ارتباط بين العقيدة الدينية ، وتقدم المجتمعات حضاريا ، ولذلك « ظهر هذا الفكر الدينى المنظم ، فى العقيدة ، وفى الله ، وفى غيرهما من مسائل ما وراء الطبيعة ، فى مصر القديمة ، وغيرها من بلاد

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

الشرق الأوسط القديم،قبل أن يظهر فى بلاد الشرق الأقصى مثلا ، بعشرات القرون ،وهى نفس المسافة الزمنية ،التى فصلت من هذين المجتمعين القديمين، فى طريق الحضارة والمدنية » (١) .

ولم يكن غريبا كذلك ، أن تختلف « الحضارات الهندوكية والصينية والفارسية والفينيقية والمصرية القديمة واليونانية والرومانية وغيرها » ، بعضها عن البعض الآخر ، وأن يكون « لكل من هذه الحضارات ، تاريخ شيق ، يدل على مدى ما بلغته شعوبها ، من الرقى الفكرى والاجتماعى والروحى ، كما تميز كل مجتمع من هـــذه المجتمعات ، بمثله العليا وتقاليده ونظام حكمه وطريقة تربيته للنشء ، وإعداده للحياة ، وفقا للسائد فى المجتمع ، من عقائد وفلسفات ، ووفقـا لحالته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ووفقا لظروفه الطبيعية ، ولمستواه الثقافى » (٢) .

ومما يلفت النظر فى هذه الحضارات ، أن تكون كل (مظاهر) الحياة فى هذه الحضارات ، ذات (صبغة) دينية ، وأن تكون الفلسفات التى كانت سائدة فيها ، هى الفلسفات « التى انطوت عليها دياناتها » ، ولم تكن فلسفات بالمعنى الفلسفى الدقيق ، بقدر ما كانت ألوانا من الحكمة ، وضروبا من المبادئ والقواعد ، مما كان يتصل من قريب أو من بعيد ، بالدين والعقائد » (٣) ـ وأن تكون العلوم ـ ذاتها ـ كالفلسفات ـ جزءا من الدين،

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر ــ الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ فبراير ١٩٧٧ ، ص ٤١ .

(٢) فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان ــ مكتبة نهضة مصر ، ص ز ــ من المقدمة .

(٣) رينيــه ديكارت : مقال عن المنهج ــ ترجمــة محمــود محمــد الخضيرى ــ الطبعة الثانية ــ راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى ــ من (روائع الفكر الانســانى) ــ دار الكاتب العــربى للطبــاعة والنشر ــ ١٩٦٨ ص ٣ ، ٤ ــ من التقديم ، للدكتور محمد مصطفى حلمى .

« ومن هنا اختلط العلم بالدين ، واصطبغ بلون من الغموض والسحر والتصوف » (١) ،ومن ثم كان « علما أرستقراطيا ، قاصرا على الكهنة والملوك والطبقة الحاكمة وحدها ، ولم يتح لأبناء الشعب أن يتزودوا به ، ولم يسمح لهم أن يعرفوا عنه ، لأنه كان جزءا من النظام الكهنوتى الدينى ، الموجود فى هذه المجتمعات» (٢) .

ولعل ذلك،يفسر ما احتلته طبقة الكهنة ، فى هذه المجتمعات القديمة ، من منزلة خاصة ، فقدكان هؤلاء الكهنة ـ فى مصر القديمة مثلا ـ « أشرف الطبقات وأعلاها » ، و « كانوا يشغلون جميع مناصب الحكومة ومراتبها الرفيعة ، ويتولون جميع الأعمال والشئون ، التى تحتاج فى إدارتها إلى المهارة والعلم ، فكانوا الأطباء والمهندسين والمعلمين والقضاة والمؤرخين . . »(٣) إلخ .

ويقسم ألدومييلى المجتمعات القديمة ، من حيث ما بينها من أواصر وروابط ،إلى ثلاث مجموعات كبيرة،« يمكن جعلها مستقلة،بعضها عن بعض:

(ا) علم الصين، فى المشرق الأقصى .

(ب) علم الهند ، فى شبه جزيرة الكنج .

(حـ) علم حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو ذلك العلم ، الذى كان نموه ، عاملا على تحقيق نشأة العلم العالمى الحديث ، وهو يشمل حضارات مصر ، وما بين النهرين ، والإغريق ، والرومان » (٤) .

---

(١) الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ـ الطبعة الثانية ـ لجنة البيان العربى ـ ١٩٦٦ ، ص ٦١ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ ، ص ٣٥ .

(٣) مصطفى امين : تاريخ التربية ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر ـ ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م ، ص ١٣ .

(٤) الدومييلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى ـ نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى ـ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى ـ جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ ١٩٦٢ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

ديناميات المجتمعات القديمة :

كانت المجتمعات القديمة ـ كما سبق ـ مجتمعات دينية ، بالدرجة الأولى ، وبموجب الدين الذى كان سائدا ،سارت أمور الحياة على نحو معين — شأن المجتمعات القديمة فى ذلك،شأن المجتمعات الحديثة المعاصرة ، رغم ما يشاع عنها ـ خطأ ـ من أنها مجتمعات لادينية ، أو علمانية، « إيهاما لنا أو خداعا ، ليسهل عليهم الوصول، إلى ما يريدون أن يصلوا إليه ، من إحكام سيطرتهم علينا ، ماديا وفكريا وأيديولوجيا »[١] .

ولقد كان الدين فى كل مجتمع من هذه المجتمعات القديمة ،(وظيفيا)، شأنه فى ذلك شأن الأديان (السماوية) ، التى تنزلت فيما بعد ، وشأن الأديان (الوضعية) ، السائدة فى عالم اليوم .

وليست القضية ، قضية بعد الدين عن الحق ، أو قربه من هذا الحق ، ولكن القضية ،هى قضية (إيمان)الناس به ، فهذا (الإيمان) به ذاته ، هو نقطة (القوة) الأساسية، فى هذا الدين . وتزداد هذه القوة قوة ـ بطبيعة الحال ـ كلما اقترب هذا الدين ، من هذا الحق .

ذلك أن العقائد الصحيحة ، هى ـ وحدها ـ القادرة على (الصمود) فى معترك الحياة ، وهى القادرة على (لم الشمل) حولها ، عندما تظلم الحياة .

أما العقائد الفاسدة ، فهى قد تؤدى دورها لفترة من الزمن ، ولكنها

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : التربية ومشكلات المجتمع — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ١١٦ .

لا يمكن أن تقوم ، بما يجب عليها أن تقوم به ، فى حياة الأفراد والمجتمعات .. أمام (المتغيرات) ، التى تفرض نفسها على الناس .

وليس أدل على أن القضية ، ليست قضية دين حق ، أو دين باطل ، من فساد العقيدة اليهودية ، وتمكنها ـ رغم ذلك ـ من أن تقيم لليهود دولة ، بعد شتات دام آلاف السنين ، وذلك لأن تربية اليهود ، كانت دوما ، تعتمد على الأسرة ، التى كانت تعتبر ـ دوما ـ ومدرسة ، ذات قيمة خلقية واجتماعية »(١) ، محور المنهج فيها ، هو (التوارة) ، التى (جمعت) اليهود ، المتفرقين فى أنحاء مختلفة من العالم ، ووحدت أهدافهم ، حتى استطاعوا تحقيقها ، فى منتصف هذا القرن العشرين .

وقد كانت هذه التربية اليهودية ، التى تقوم على الأسرة ، وتدور حول التوراة ، « هى التى استطاعت أن تبقى عاداتهم واعتقاداتهم حية ، طوال هذه العصور ، رغم ما خضع له اليهود ، منذ ثمانية عشر قرنا ، من فقدان لأرض يسكنونها ، وتشرد فى البلدان »(٢) .

ويكفى ـ دلالة على فسادها ـ أنها عقيدة تقوم على (تميز) القوم ، « فالإله إلههم وحدهم ، وظيفته سحق أعدائهم ، والسهر على راحتهم »(٣) ،

---

(1) GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution' The Macmillan Company, New-York, 1923, p. 76 .

(٢) الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية ـ من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق ـ مطبعة جامعة دمشق ـ ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله ، والحياة المعاصرة ـ الكتاب السادس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ١٠١ .

والنبوة ـ عندهم ـ ليست إصلاحا للنفس ، ولكنها « صناعة موقوفة على استطلاع الغيب ، لتحذيرها من الضربات التى تواجهها ولا تخشاها ، من إله غير إلهها »(١) .

ومن ثم فالحياة حياتهم وحدهم .. وبعدهم الطوفان ، على نحو ما رأينا فى كتب متفرقة كثيرة ، من كتب السلسلة ، وعلى نحو ما سنرى ـ تفصيلا ـ فى الكتاب ، الذى ستخصصه لهم منها ، بإذن الله .

وعقيدة هـ ـ ذا محورها ، لابد أن تؤدى بمعتنقيها ، إلى ويلات ، يشهد عليها تاريخ اليهود الطويل ، دون أن نغتر بما وصلوا إليه بسببها ، من قوة ، لا ينكرها إلا مغالط لنفسه ، ولكنه لا يمكن أن يغالط غيره .

ولكن هذه العقيدة الفاسدة ذاتها ، هى التى أدت ـ بتجمع اليهود عليها ـ إلى أن (يفرض) اليهود أنفسهم ، على العرب والمسلمين ، و(يختطفوا) منهم القدس ، ويطردوا إخوانهم فى العروبة والإسلام .. أبناء فلسطين ، من أرضهم .

وليس أدل على أن القضية ، ليست قضية دين حق ، ودين باطل ، أيضا ، من صحة العقيدة الإسلامية ، باعتراف أعداء الإسلام أنفسهم ، على النحو الذى رأيناه ، فى كتب السلسلة السابقة ، والذى نراه فى كتابات المنصفين للحق والحقيقة ، مسلمين كانوا ، أو غير مسلمين ـ ورغم ذلك ، نرى المسلمين اليوم ، يعيشون فى ذل وهوان ، رغم أن إمكانيات القوة والتقدم ، كلها متوفرة لديهم ، وذلك لأنهم (حصروا) الإسلام فى أضيق حدوده ، بعد أن « غرق المسلمون فى بحر هذه (الجاهلية) الجديدة .. مخدوعين أو مطحونين ..

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ، ص ٧٦ .

وكادوا يبعدون عن كتابهم ، وكاد دور هذا الكتاب، أن يقتصر على (المآتم) والمقابر .. وكأنه كتاب للأموات ، لا كتاب للأحياء .

وحتى فى هذه المآتم والمقابر .. تتلى آياته ، والناس عنها فى شغل شاغل ، بأعباء الحياة ، أو بمفاتن هذه الحياة »(١) .

إن العقيدة الإسلامية - حقا - عقيدة بناءة ، معطاءة ، بدليل ما فعلته بالمسلمين ، فى القرون الهجرية السنة الأولى ، حيث مكنتهم - أولا - من تحطيم (الأصنام) العديدة ، فى داخل الجزيرة العربية ، ثم من اكتساح أكبر قوتين عالميتين معاصرتين له ، وهما امبراطوريتا الفرس والروم ، ثانيـــا ، ثم - وهذا هو الأهم - تحويله (أعراب) الجزيرة العربية ، من بدائيين، جفاة ، غلاظ القلوب، قساة ، إلى رسل رحمة ومحبة وسلام ، وزرعه (للقابلية الحضارية) فى قلوبهم ، فمن « المسلم به ، أن العرب عندما اندفعوا من شبه جزيرتهم، فى القرن السابع للميلاد ، ليضعوا أساس دولتهم العظيمة، لم يكن لديهم عندئذ تراث حضارى شامخ ، ينافسون به الشعوب الأخرى، ذات الحضارات القديمة » .. « ومع ذلك ، فقد كان لدى العرب عندئذ ما هو أهم ، وهو القدرة على التعلم السريع، والإفادة من الغير ، وتشرب الاتجاهات النافعة ، فى الحضارات ، التى قدر لهم أن يلتقوا بها ، ويصادفوها فى طريق توسعهم »(٢) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضـايا أخرى — الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٧٩ ، ص ١٥٤ .

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسـلامية ، وأثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ ، ص ١٥ .

وبهذه (القابلية الحضارية) ، تحول أعراب الجزيرة العربية ، بعد أن أسلموا ، « من (جاهليين) ، إلى حماة للحضارة ، ومتشربين لها ، ثم مساهمين فيها بعد ذلك »(١).

ولكن أين المسلمون اليوم ، من هذا الإسلام ، البناء ، المعطاء ، للفرد وللجماعة على السواء ؟

إن الإسلام اليوم « إسلام ، يسمى فيه المولود مسلما ، بحكم القانون والوراثة ، ويبقى مسلماً ، ليتمتع به ، بما شاء ، من منافع مادية وأدبية » . « إنه إسلام جامد ، واقف » ، « سلبي ، لا يتدخل في شئون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غـــاربه ، ويدع جيله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية ، والأفكار السامة ، والأدب المائع ، فيترك المجتمع فريسة سهلة ، ولقمة سائغة ، أمام ذئاب الإنسانية، ووحوش الحضارة ، وقراصنة السياسة، ولصوص الدين والأدب »(٢) .

والإسلام الذى أدى إلى نهضة (الأعراب) ، منذ أربعة عشر قرنا ، « شيء أكبر من الصلاة ومن الصوم ... إنه حركة عالمية للتجديد » . « ولقد

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبود : « التربية ومحو الأمية الأيديولوجية » — **تعليم الجماهير** — مجلة متخصصة ، تصدر عن الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار — السنة الثالثة — العدد السادس — مايو ١٩٧٦ ، ص ٣١ .

(٢) محمد الحسنى : الاسلام المتحن — تقديم المفكر الاسلامى الكبير ، أبو الحسن الندوى — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

كان الإسلام قوة فعالة ، عندما كان يشكل محور حياة المسلمين »[١] - وليس الإسلام ، الذى أراده الغرب ، منذ فشلت (الحروب الصليبية المسلحة) ، فاستبدلها (بغزو فكرى) ، يباعد بين المسلمين أنفسهم ، وبين الإسلام .

* * *

ولقد كانت المجتمعات القديمة ، مجتمعات دينية بالدرجة الأولى ، كما سبق ، ومعنى أنها كانت مجتمعات دينية ، هو أن الدين ، كان هو (المحور) الذى تدور حوله حياة الناس ، فى كل مجتمع ، من هذه المجتمعات القديمة .

وكان الدين ، فى كل مجتمع من هذه المجتمعات القديمة ، (وظيفيا) ، ومن ثم اختلف من مجتمع من هذه المجتمعات القديمة إلى آخر ، على نحو ما نرى فى ذلك الاختلاف القائم ، بين بوذية الهند ، وكونفوشيوسية الصين ، وزرادشتية فارس .

فى **الهنــد** ، حيث الطبيعة معطاءة ، والجو معتدل نسبيا ، والخيرات كثيرة ، والطامعون فى ذلك كله أكثر ، والشر المتربص بالهند وبالهنود — رغم ذلك كله - أشد ، تكون فلسفة الزهد فى الحياة ، والتعفف عن ملذاتها ، هو جوهر الحياة الدينية ، كما ظهرت فى البراهمانية ، ثم أعيدت بلورتها فى البوذية ، فى القرن السادس قبل الميلاد .

وفى **الصــين** ، حيث قسوة الطبيعة ، وبعد البلاد عن مراكز الحضارة القديمة ، يكون الالتصاق بالجماعة ، والاحتماء بها ، هو جوهر الحياة الدينية ،

---

(١) محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الاسلام — رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسـلامى) — المختـار الاسـلامى — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٦٤ .

ومن ثم ركزت الكونفوشيوسية، على (الولاء) للأسرة ، باعتباره (واجباً) دينياً مقدساً ، ثم انتقل هذا الولاء، من الأسرة الصغرى (المعروفة) ، إلى الأسرة الكبرى (الدولة) ، وهذا الولاء ، يعد « أبرز الظواهر التى يتسم بها تكوين الصين السياسى » ، و « الولاء » ، هو الذى خلق « القدرة ، التى كان نواب الملك بالصين ، ينفذون بها سياسات الإدارة المركزية ، وذلك حتى حين كانت حكومة بيكين نفسها ، ضعيفة وفاسدة ، وعديمة الكفاءة »(١) .

ولقد وصل هذا التقديس للأسرة الكبرى ، إلى حد وصف ربها (الامبراطور) ، بأنه « (ابن السماء) ، بحكم نيابته عن الخالق ، ويستمد سلطانه ، مما يتصف به من الفضيلة و الصلاح ، ويليه فى السلطان ، أمراء أو أعيان ، بعضهم بحكم مولدهم ، وبعضهم بحكم تربيتهم وتدريبهم ، وهم يصرفون أعمال الدولة ، ثم يأتى الشعب ، وواجبه فـــلاحة الأرض ، ويعيش فى أسر أبوية ، ويتمتع بالحقوق المدنية ، ولكنه لا رأى له فى تصريف الشئون العامة »(٢) .

وفى فارس ، حيث قسوة الطبيعة أيضا ، وقرب البلاد من مراكز الحضارة القديمة ، خاصة فى بابل وآشور ومصر ، كان (العنف)، هو جوهر الحياة الدينية ، ومن ثم ركزت الزرادشتية ، على هذا العنف ، باعتباره

---

(١) ك. م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ مراجعة احمد خاكى ـ من الفكر السياسى والاشتركى ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ الادرة العامة للثقافة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٢ ، ص ٧٠ .

(٢) دكتور سعد مرسى احمد ، ودكتور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٢ ، ص ٥٢ .

(رياضة) ، توجه إلى النفس أولا ، ثم توجه ـ بعدها ـ إلى الآخرين ، لإضعافهم ، والسيطرة على بلادهم .

* * *

ومن ثم كان كل دين من هذه الأديان القديمة ، (وظيفياً) ، بمعنى أنه يعبر عن ظروف الزمان والمكان لقومه ، ومن ثم كان يجمعهم على (هدف واحد) ، قريب من أنفسهم .. كما كان كل منها ، مساعداً لمعتنقيه ، على التقدم .. وبناء حضارة .

الفصل الثانى

دينامية النشاط الاجتماعى

تقـــديم :

فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، عن (الملامح العامة، للمجتمع الإسلامى) ، رأينا أن هـذا المجتمع الإسلامى - بطبيعته - مجتمع ربانى ، وأنه مجتمع إنسانى ، وأنه — لذلك — مجتمع نظيف ، متراحم .

وهى سمات استمددناها — فى الكتاب السابق من كتب السلسلة — من الإطار الأيديولوجى للإسلام ذاته ، فى ربطه الرائع ، بين الإنسان الفرد ، والجماعة الإسلامية ، وربط الفرد والجماعة معاً ، بالبعد الأخطر تأثيراً فى حياة الإنسان والجماعة ، وهو البعد الميتافيزيقى .

وهذا البعد الميتافيزيقى للإنسان -. والمجتمع - لا يقتصر على الإسلام وحده ،وإنمـا هو يتعداه ،إلى كل دين،سماوى أو وضعى،من خلال مجموعة (السلوكيات)،التى يفرضها أى منها ، إما من خلال (أخلاقياته) ، التى يقتنعون بها ، أو من خلال قوانينه ، التى تلتزم السلطة بتنفيذها ، أو من خلالهما معاً . بل إن الفلسفات ذاتها ، لم توضع خطوطها العامة ، وتفصيلات هـذه الخطوط ، فى إطار واقع المجتمع وحده ، وإنما هى وضعت ، فى ضوءهذا البعد الميتافيزيقى أيضاً .

غير أنه دون الإسلام بكثير ، أى دين من هذه الأديان ، أو أية فلسفة من هذه الفلسفات .

ذلك أنه حتى الأديان السماوية ، كما رأينا فى أكثر من كتاب سبق من كتب السلسلة، قد نزلت فى زمان ومكان محددين، لعلاج مشكلة (الإنسان) ، فى هذا الزمان ، وذلك المكان ، ومن ثم كان الدين ، لا بد أن يكون محدوداً ، بحدود الزمان والمكان .

وما يقال عن الأديان السماوية ، يمكن أن يقال عن الديانات (الوضعية) ، مع زيادة بسيطة ، وهى أن مثل هذه الديانات ، بالإضافة إلى أنها محدودة بحدود الزمان والمكان ، التى كانت تحد الأديان السماوية ، فإنها من وضع بشر ، والبشر يخطىء ويصيب ، أما أديان السماء ، فهى من عند الله ، ومن ثم لا يمكن أن يتسرب إليها الخطأ .

أما الإسلام ، فقد كان كاملا ، لأنه من عند الله ، كغيره من الديانات السماوية ، ولكنه كان آخر ديانات السماء ، ومن ثم تعدى حدود الزمان والمكان ، فى معالجته لمختلف القضايا ، التى عالجها .

ومن ثم لم نر تناقضاً — فى كتابنا السابق — بين ربانية المجتمع الإسلامى وإنسانيته ، بل رأينا أن (إنسانية) هذا المجتمع ، هى الثمرة الطبيعية ، (لربانيته)(١) .

وفى ضوء هذه (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) — موضوع كتاب السلسلة السابق - مضافاً إليها - بطبيعة الحال - ما قلناه عن (معنى المجتمع) - فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، يمكن أن نتحدث عن بعض (القضايا الإجتماعية) ، فى هذا الفصل ، تمهيدا لطرح بعض جوانب (ديناميات المجتمع الإسلامى) ، فى بقية فصول الكتاب .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الاسلامى — الكتاب التاسع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٧٠ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

قضية المصالح المشتركة :

رأينا فى الفصل السابق ، أن الإنسان ، واجه الحياة على الأرض ، فى أول الأمر ، وحيداً (١) ، وأنه — فى تطوره التاريخى والحضارى — قد ترك هذا الانفرادية ، وانتقل إلى الحياة فى (جماعة) إنسانية ، يجمعه — معها — صالحه وصالحها ، سواء فى ذلك ، صالح (الأمن) ، الذى يحس به ، نتيجة لقدرته — معها — على حماية نفسه من أعدائه — وصالح قضاء الحاجات ، التى تتطلبها حياته ، ولكنه لا يستطيع قضاءها ، إلا من خلال الآخرين ، « فالكل (مسخر) لخدمة الكل ، أراد أم لم يرد ، فالطبيب مسخر لخدمة المريض ، والمدرس مسخر لخدمة تلاميذه ، ورئيس الدولة مسخر لخدمة شعبه ، والأب مسخر لرعاية أولاده ، وهلم جرا »(٢) .

ومن ثم يكون (التفاوت) ، الذى رأيناه فى الكتاب السابع من كتب السلسلة ، أصيلا بين الناس . . ضرورة من ضرورات الحياة ، وسط جماعة إنسانية ، تربط بينها (مصالح مشتركة) ، لأن الإنسان لا يستطيع ، أن « يحول أرضه تلك ، التى يعيش عليها ، إلى جنة ، إلا إذا كان (متنوع) المواهب والملكات والإمكانيات .

ذلك أن تعمير الأرض ، لتكون (جنة) ، يحتاج الى فكر المفكر ، وتخطيط المخطط ، وتنفيذ المنفذ ، ويحتاج الى هندسة المهندس ، وطب الطبيب ، وصيدلة الصيدلى ، كما يحتاج إلى عقل الرياضى ، وخبرة العالم فى معمله ، وعضلات الفلاح ، وعرق العامل ، وغيرها وغيرها »(٣) .

---

(١) ارجع الى ص ١٧ من الكتاب .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا اخرى (مرجع سابق) ، ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

والمجتمع الإنسانى ، لا يعيش على هذه الأرض وحده ، وإنما هو يشارك مجتمعات أخرى كثيرة ، تربطه بها مصالح .

فالمصالح المشتركة ، ليست بقاصرة على أبناء المجتمع ، فيما يقوم بينهم من علاقات ، ولكنها تتعداها إلى خارج الحدود ، لتربط هـذا المجتمع — ككل — بالمجتمعات الأخرى ، ولتقوم بينه وبينها ، مجموعة من هذه المصالح المشتركة أيضاً .

ولقد أصبحت هـذه المصالح المشتركة ، بين كل شعوب الأرض ومجتمعاتها ، فى القرن العشرين،(حتمية تاريخية)،قضى بها التطور العلمى الهائل، فى وسائل الاتصال ، وفى وسائل الحرب والتدمير ، بحيث صارت الكرة الأرضية كلها، (مجتمعاً) واحداً ، يسمى اليوم (بالمجتمع الدولى) — وفى هذا (المجتمع الدولى) ، لم يعد هناك مجتمع يمكن أن (يتقوقع) على نفسه ، أو ينفرد عن غيره ، ولم يعد ممكناً أن تكون الحرب — إن قامت — محلية محدودة ، وإنما صارت أمراً يهم هذا المجتمع البشرى كله .

ولكن الإسلام ، سبق واقعنا الراهن المعاصر ، بأربعة عشر قرناً من الزمان ، حين قرر هذه (المصالح المشتركة) ، بين شعوب الأرض جميعاً ، حيث قال سبحانه :

— « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »(١) .

وإذا كانت الحضارة ، قد لجأت إلى هذه(الحتمية) التاريخية ،رغم أنفها ، تحت (وطأة) تقدم أسلحة الدمار الشامل ، التى لا تترك الحرب فيها منتصراً ومهزوماً ، وإنما هى تترك للكل ، التدمير الشامل . . فإن الإسلام قد وصل

(١) قرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١٣ .

إليها ، من منظور آخر ،وهو أنه (لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود . . إلا بالتقوى) ، على حد تعبير الحديث الشريف ، أو — على حد تعبير الشهيد سيد قطب — من « فكرته الكاملة ، عن وحدة الإنسانية ، المختلفة الأجناس ، المتعددة الشعوب ، وله ميزانه الواحد ، الذى يقوم به الجميع . إنه ميزان الله ، المبرأ من شوائب الهوى والاضطراب »[١] . « وهكذا تتوارى جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد ، بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان ، يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة ، يرجع اختلاف البشر فى الميزان .

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات فى الأرض ، وترخص جميع القيم ، التى يتكالب عليها النـاس ، ويظهر سبب ضخم واضح ، للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد . كما يرتفع لواء واحد ، يتسابق الجميع ، ليقفوا تحته : لواء التقوى فى ظل الله ، وهـذا هو اللواء الذى رفعه الإسلام ، لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت ، وكلها من الجاهلية وإليهـا ، تتزيا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الأسماء ، وكلها جاهليـــة عارية من الإسلام !

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية ، فى كل صورها وأشكالها ، ليقيم نظامه الإنسانى العالمى ، فى ظل راية واحـدة : راية الله ، لا راية الوطنية ، ولا راية القوميـة ، ولا راية البيت ، ولا راية الجنس ، فكلها رايات زائفة ، لا يعرفها الإسلام »[٢] .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القـرآن — المجلد السادس (الأجزاء ٢٦ — ٣٠) — الطبعـة الشرعية الرابعـة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣٣٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٤٨ .

إن (المصالح المشتركة) ،على مستوى الجنس البشرى ، ما لم تحكمها هذه (القيمة) الإسلامية، تغدو — كما هى اليوم — تسلطاً من الأقوياء على الضعفاء، كما أن (المصالح المشتركة) على مستوى المجتمع المحلى — أو القومى — مالم تحكمها هذه القيمة الإسلامية ، تغدو تسلط فئة من فئات المجتمع ، على بقية فئاته . وقد يكون هذا التسلط ، هو تسلط الأغنياء على الفقراء ، كما نرى فى البلاد الرأسمالية ، وقد يكون تسلط رجال الحزب ، على كل الفئات ، كما نرى فى العالم الشيوعى ، وقد يكون تسلط رجال الجيش على كل الفئات ، كما نرى فى معظم بلاد العالم الثالث ، وهكذا .

ولا يمكن أن يقوم السلام العالمى ،على أساس هذا (التسلط)، لأن الشعوب المظلومة المغلوبة، يمكن أن تثور ، كما أنه لا يمكن أن يقوم السلام الاجتماعى، على أساس هذا التسلط، لأن الفئات المطحونة فى المجتمع ، يمكن أن (تثور)، على الأقلية المتسلطة ، بصور شتى .

وما لم يكن هنا (رضا) .. لا يكون سلام .

وللحصول على هذا الرضا — فى المجتمع الإسلامى — مصادر شتى ، ينبع بعضها من داخل النفس المسلمة ، التى جبلت على أن تعطى ، وعلى أن تبنى .. فهذه هى رسالتها فى الحياة ، على نحو ما رأينا ، فى كتابنا السابق من كتب السلسلة(١) ، وفى مواضع متفرقة ، من الكتب التى سبقته .

ويتوفر بعض هذه المصادر ،من خارج هذه النفس المسلمة .. من المجتمع ذاته، الذى يقدر كل عطاء يقدم ،والذى (يعطى الأجير أجره ، قبل أن يجف عرقه) ، على حد تعبير الحديث الشريف .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

وعندما يكون هناك إحساس بظلم وقع ، فإن هذا الظلم ذاته ، لمما يوجب الثورة لرفعه .

وعلى أساس ما بين هذين اللونين من الرضا ... يكون السلام ، فى هذا المجتمع الإسلامى .

وهو — كما يبدو — ليس سلام الضعيف الخانع الذليل المستسلم ، وليس سلام من يفرض نفسه على غيره ،ليسحق هذا الغير ، فيتحقق السلام ، ولكنه سلام القادر على العمل، القادر على العفو ، القادر على الحصول على حقه أيضاً :

— « الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون ، إن كنتم مؤمنين »[١] .

وعندما يحس المسلم ،بأنه (عاجز) عن الحصول على هذا الحق ، عاجز عن الثورة ، فإنه مكلف بالهجرة ، إلى أرض لا يقع عليه فيها ظلم :

— « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفوراً »[٢] .

---

(١) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١٧٣ — ١٧٥ .

(٢) قرآن كريم : النساء — ٤ : ٩٧ — ٩٩ .

المسألة الوطنية او القومية :

الوطنية ، من الوطن ، بمعنى (المكان) الذى يقيم فيه الإنسان ، يقال : « وطن بالمكان (يطن) وطناً : أقام به »(١) .

ومرادف الكلمة باللغة الإنجليزية ، هو Home، أو Homeland(٢)- و Home معناها الأصلى هو (المنزل) ، و Land معناها هو الأرض ، وواضح ما بين الوطن هنا ، وبين المنزل، من علاقة(٣) ، مرجعها - كما سبق - تلك الصلة التى رأيناها، فى كتابنا عن الأسرة ، من علاقة بين الأسرة والمجتمع ، فى الفكر الغربى(٤) .

والقومية من القوم ، بمعنى « الجماعة من الناس ، تجمعهم جامعة يقومون لها» ، أو «الجماعة من الناس، تؤلف بينهم وحدة اللغة، والتقاليد الاجتماعية، وأصول الثقافة ، وأسباب المصالح المشتركة »(٥) .

---

(١) المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الثانى — مجمع اللغة العربية — ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م ، ص ١٠٥٤ .

(٢) الياس أنطون الياس ، وادوار ا. الياس : القاموس العصرى ، عربى / انكليزى — الطبعة التاسعة — المطبعة العصرية بالقاهرة — ١٩٧٠ ، ص ٨٠٢ .

وارجع كذلك الى :

- AL NAHDA DICTIONARY, English – Arabic, Compiled by : Ismail Mazhar Vol. I; First Edition, The Renaissance Bookshop, Cairo, pp. 842, 1124 .

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة — الكتاب الثامن من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٧٩ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) المعجم الوسيط — الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ٧٧٤ .

ومقابل الكلمة بالانجليزية هو Nationalism ، من Nation ، بمعنى «أمة»، أو بمعنى « جماعة من الناس ، تحكمهم حكومة واحدة »(١) . وهكذا تعنى القومية « الإحساس القوى ، بالانتماء إلى الأمة »(٢) ، و « الإحساس القوى ، ببناء الوطن ، وضرورة الدفاع عنه »(٣) .

ومن ثم تكون العلاقة بين الوطنية والقومية واحدة ، وإن كانت الوطنية تركز على الأرض ، والقومية تركز على سكانها ، ولا فرق - عندى — بين الأرض ، ومن يسكنونها .

والوطنية أو القومية ، من المفاهيم الحديثة ، التى فرضت نفسها على خريطة الفكر الإنسانى ، بعد « الثورة الفرنسية ، فقبلها لم تكن معروفة ، على النحو الذى نعرفه الآن » ، حتى « أصبح من ميزات القرن التاسع عشر ، انتشار روح القومية واشتدادها ، وتجمعها حول المملكة ، وتوجيه كل نظم الدولة ، نحو خدمة هذه النزعة القومية »(٤) .

---

(1) WEST, MICHAEL PHILIP and ENDICOTT, JAMES GARETH: The New Method English Dictionary; Twenty — fourth Edition, Longman, 1976, p. 213 .

(2) Ibid., p. 213.

(3) The Concise Oxford Dictionary of Current English, Edited by : H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, based on : the Oxford Dictionary, Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1951, p. 786.

(٤) احمد امين : « الانسانية والقومية » ـ **فيض الخاطر** ـ الجزء الثالث ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٢ ، ص ١٣١ .

ذلك أن نابليون، أحس بأن (الطاقة) الفرنسية، التي تفجرت - بالثورة - قد اتجهت إلى داخل فرنسا ، حتى حولتها إلى أشلاء وأنقاض ، وذلك بسبب ضيق أفق القائمين على هـذه الثورة[١] ، ومن ثم كان عليه — بعد أن تولى السلطة — أن يحول هذه الطاقة المتفجرة ، إلى خارج الحدود ، أملا في تحقيق امبراطورية عظمى ، حيث يقول سنة ١٧٩٧ : « إن المجتمع الأوربى ، يجب أن يتحدد ، ويجب على أسمى قوة فيه ، أن تحكم القوى الأخرى ، وتجبرها على أن تعيش فى سلام ، مع بعضها البعض ، وفرنسا هى خير من يستطيع أن يقوم بهذا الدور ، فى أوربا »[٢] .

وكانت النتيجة، أن تفجرت نفس (النعرة) القومية، فى انجلترا ، لدرجة أن رئيس وزرائها ، وليم بت ، يضطر إلى أن يصرح ، بأن « مملكة بريطانيا العظمى ، والجمهورية الفرنسية ، لا يمكن أن تعيشا معاً »[٣] .

كما تفجرت نفس النعرة، فى ألمانيا، خاصة بعد أن اقتطع نابليون منها أرض الراين ، وفرض عليها طوال عشرين عاما (من سنة ١٧٩٥ الى سنة ١٨١٥)، الأفكار الفرنسية ، واللغة الفرنسية، والقانون الفرنسى ، حيث رأى الفيلسوف

---

(1) ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective; Harvard University Press, Cambridge, Massachussetts, 1961, p. 132.

(2) COUPLAND, R. (Selected by) : The War Speeches of William Pitt, The Younger; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940, p. XI, from the Introduction.

(3) Ibid., p. 265.

الألمانى فيخت Fichte ،أنه لا سبيل إلى إنقاذ ألمانيا من هذا العار والهوان ، سوى « إثارة النعرة القومية الألمانية » ، حيث رأى أن ألمانيا — « بحكم وضعها الجغرافى ، وظروفها التاريخية — هى وحدها القادرة ، على أن تقود العالم »(١) .

ثم بدأ المفهوم الجديد — مفهوم القومية — يفرض نفسه على خريطة الفكر الإنسانى ، وكان هو الذى فجر حربين عالميتين ، فى النصف الأول من القرن العشرين ، وحده .

وتقوم القومية — منذ قامت — على « وحدة الجنس » ، و « وحدة الحدود » و « وحدة اللغة » ، و « وحدة اللون » ، و « وحدة الأهداف الاقتصادية » ، و « وحدة نظام الحكم » . و « من الطبيعى ، أن هذا النوع من القومية ، يتطلب بالضرورة ، خلق عصبية جاهلية ، فى داخل الإنسان ، فهو يدفع شعبا إلى معاداة شعب آخر ، والنفور منه ، فقط لمجرد أنه شعب آخر »(٢) .

ولا يشك الفيلسوف البريطانى الشهير ، برتراند رسل ، فى (وطنية) موجهى سياسات هذه البلاد القومية ، المتطرفة فى قوميتها ، فإن « الذين يوجهون السياسة الألمانية ، هم قبل كل شىء ، رجال وطنيون » ، إلا أنهم

---

(1) HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions: Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958, pp. 218, 219.

(٢) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية — نقله الى العربية : أحمد دريس — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

« يخيل إليهم، أن مصالح ألمانيا، هى وحدها، المصالح الجديرة بالاعتبار، دون أن ينازعهم فى ذلك منازع . وليس من شأنهم هم ، ما دام همهم هو هذه المصالح ، أن يفكروا فيما يصيب الأمم الأخرى من أضرار ، ولا فيما تجره هذه السياسة ، من تخريب للمدن ، ودمار للأهالى ، ولا ما يلحق بالحضارة من تلف، لا يمكن إصلاحه »(١) ـ وكلامه هنا عن ألمانيا النازية ، التى انتهى حالها، إلى ما انتهى إليه ، بعد الحرب العالمية الثانية ، من تقسيم عاصمتها نفسها، بين الشرق والغرب .

فالوطنية أو القومية ـ على حد تعبير مولاى محمد على ـ لون من ألوان (الأنانية) المدمرة، و« الأنانية تقاوم، كمرض معد، إذا كانت تمس فرداً أو أفراداً، أما إذا انقلبت طاعونا ، يجتاح بعدواه ، وطنا بأسره ، فإنها تمتدح عندئذ ، وتعد نصرا وطنيا مبينا » . « غير أن الدولة بدورها، لا يمكن أن يهدأ لها بال ، فقد تجتاحها فى أى وقت من الأوقات ، دولة أخرى ، تفوقها فى القوة ، وفى وفرة معدات القتال »(٢) .

ومن ثم فهو يرى، أن « فكرة إدماج البشرية فى وطن واحد ، دون الاهتمام بالأجناس والألوان واللغات ، أو التقيد بالحدود الجغرافية ، هى الهدية، التى أهدتها جامعة الإسلام، إلى المدنية البشرية ، وهى الترياق الوحيد، لسم الأحقاد الدولية » . « وإن فشل المسيحية فى هذه الناحية ، لذريع ،

---

(١) برتراند رسل : نحو عالم افضل ـ ترجمة ومراجعة درينى خشبة وعبد الكريم احمد ـ رقم (٦٨) من مشروع (الالف كتاب) ـ العالمية للطبع والنشر ، ص ٦٦ .

(٢) مولاى محمد على : الاسلام ، والنظام العالمى الجديد ـ ترجمة احمد جودة السحار ـ الطبعة الثانية ـ لجنة النشر للجامعيين ـ مكتبة مصر ، ص ٦ .

فالمسيحيون البيض، مازالوا حتى اليوم، يضمرون العداوة للمسيحيين السود، مع أنهم قد يعيشون، فى قطر واحد »[1] .

وهى هدية إسلامية إلى البشرية ، لأن « الدعوة المحمدية ، لا تعرف الوطنية والعنصرية، بالمعنى الحديث»، « فالعنصرية أو العصبية للقبيلة أو الوطن أو اللون أو اللغة أو الثقافة ، تنكرها الدعوة المحمدية ، وتعتبرها دعوة جاهلية » ، « فوطن المسلم، ليس له حدود جغرافية، فهو يمتد مع العقيدة »[2] - ولأن العالم اليوم صار (قطعة واحدة) ، رغم أنف الجميع ، وهى « حقيقة فرضها علينا التقدم التكنولوجى ، لا النمو الخلقى ، وذلك لأننا من الناحية الخلقية ، لازلنا نعيش فى عوالم كثيرة ، منفصلة »[3] .

فكرة التسامح الدينى :

لا يقل التعصب الدينى، عن التعصب القومى، خطرا، بل إن هذا التعصب - الدينى - قد يفوق التعصب القومى .. فى آثاره المدمرة .

ذلك أن التعصب القومى — على خطورته — قد يبنى أمة مفككة ، مطحونة .. كما حدث فى ألمانيا ، فلولا النزعة القومية فيها ، لظلت أرض الرين ، حتى اليوم ، تابعة لفرنسا . ولولا نفس النزعة القومية ، ما استطاع الرومان، أن يشيدوا حضارة، وما استطاع بنو إسرائيل، أن يفرضوا أنفسهم،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة — الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م ، ص ١٤١ .

(٣) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام — ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل — مراجعة محمد سليمان شعلان — تقديم السيد يوسف — الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٥ ، ص ٢٨١ .

على هذا النحو الواضح*، برغم معاداة العالم كله لهم ، عبر تاريخ الإنسانية الطويل ، وتاريخهم .

ولا ننسى هنا، أن اليهودية قومية عنصرية ،لا دين ، وإنما (صنع) الدين فيما بعد ، ليخدم هذه النزعة القومية العنصرية ، الأصيلة فى بنى إسرائيل .

أما التعصب الدينى، فإنه يهدم الأمة من الداخل ، ثم ينتقل الخراب منها ، إلى ما حولها ومن حولها .

ونذكر هنا بأن (التعصب الدينى) شىء ، و (التدين) شىء آخر .

فالتدين ، معناه الاتصال بالله ، وتمثله ـ سبحانه ـ فى النفس، تمثلا يسمو بالكيان الإنسانى كله ، من خلال « تقوية الصلة بين الوجدان الإنسانى ، والخالق جل وعلا »(١) ، « والعمل فعلا بما أمر الله تعالى به، والانتهاء فعلا عما نهى عنه »(٢) ، نتيجة لما تزرعه هذه الصلة فى نفس الإنسان،من تقوى الله ، التى تدفع هذا الإنسان، « إلى مراقبته وخشيته، وقيامه بالعمل طواعية واختياراً ، لا يشعر إلا برقابة الله ، ولا يبالى إلا بأمر الله »(٣) .

والإنسان المتدين ، يشعر بهذه الرقابة ، فى حياته كلها ؛ حيث « الحياة

---

(١) الله فى العقيدة الاسلامية ـ من رسائل الامام الشهيد حسن البنا ـ دار الشهاب ـ ١٩٧٧ ، ص ١٢ .

(٢) الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (ابحاث فى العقيدة الاسلامية ، ومنهج الدعوة الى الله) ـ رقم (١) من (كتاب الدعوة)ـ دار الطباعة والنشر الاسلامية ـ ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .

(٣) الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الاسلام ـ مؤسسة الرسالة ومكتبة الأقصى ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ، ص٥٥،٥٦ .

كلها عبادة ، والأرض كلها مسجد »[١] ، ولا يشعر بها ساعة الصلاة ، ثم يتغافلها وهو يعمل ، أو يتعامل مع غيره .

أما (التعصب الدينى) ، فهو - فى نظرى - ضد (التدين) ، لأن التدين الحق ، يدعو صاحبه إلى الرثاء لغير المتدينين ، والعمل على هدايتهم ، لا إلى إعلان الحرب عليهم :

- « يأيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم جميعاً ، فينبئكم بما كنتم تعملون »[٢] .

- « قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ، ولى دين »[٣] .

يقول الشهيد سيد قطب ، تعليقا على الآية الأولى :

« فعليكم أنفسكم . . عليكم أنفسكم ، فزكوها وطهروها ، وعليكم جماعتكم ، فالتزموها وراعوها ، ولا عليكم أن يضل غيركم ، إذا أنتم اهتديتم » .

« وعلى الأمة المسلمة ، أن تتضامن فيما بينها ، وأن تتناصح وتتواصى ، وأن تهتدى بهدى الله ، الذى جعل منها أمة مستقلة ، منفصلة عن الأمم غيرها . . ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئا ، أن يضل الناس حولها ، ما دامت هى قائمة على الهدى » .

---

(١) محمد الحسنى (مرجع سابق) ، ص ٩٢ .
(٢) قرآن كريم : المائدة - ٥ : ١٠٥ .
(٣) قرآن كريم : الكافرون - ١٠٩ : ١ - ٦ .

ولكن « كون الأمة مسؤولة عن نفسها أمام الله، لا يضيرها من ضل إذا اهتدت ـ لا يعنى أنها غير محاسبة،على التقصير، فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فيما بينها أولا ، ثم فى الأرض جميعاً »(١).

ثم يقول ، تعليقاً على الآيات التالية :

« إن الجاهلية جاهلية ، والإسلام إسلام.والفارق بينهما بعيد، والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها ، إلى الإسلام بجملته ، هو الانسلاخ عن الجاهلية بكل ما فيها ، والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه » . « لا ترقيع ، ولا أنصاف حلول ، ولا التقاء فى منتصف الطريق . . مهما تزيت الجاهلية بزى الإسلام ، أو ادعت هذا العنوان »(٢).

فالمتعصب الدينى ، ينشغل بغيره ، وينسى نفسه ، فتكون النتيجة ، أنه يصير عبئاً على الدين ذاته ، ببعده عن تعاليمه، شيئاً فشيئاً ، وهو يعتقد — فى أعماقه — أنه على الحق وحده ، لدرجة أنه ينصب من نفسه، رقيبا على غيره ، محاسباً لهذا الغير :

— « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »(٣) .

ولقد كان أبو بكر ـ رضى الله عنه — مشهوداً له بالجنة ، ومع ذلك كان أخشى الناس لله ، وعندما سئل فى ذلك ، قال قولته المشهورة :

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (الأجزاء : ٥ـ٧) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (مرجع سابق)، ص ٣٩٩٢ .

(٣) قرآن كريم : الكهف — ١٨ : ١٠٣ ، ١٠٤ .

— « والله لو كانت إحدى قدمى فى الجنة ، ما أمنت مكر الله » .

وهكذا كان عمر رضى الله عنه .. شديد المحاسبة لنفسه ، وشديد التقريع لها أيضاً .

ولو تتبعنا حياة كل مؤمن حق ، لوجدناها قريبة من حياة أبى بكر وعمر ، فى هذه الحياة الدينية . وعلى عكس سلوك المؤمن هذا ، نجد سلوك .. المنافقين .

ولذلك يعلق العلامة شمس الدين بن القيم ، على موقف الإسلام من المنافقين ، الذين يمكن أن يظهروا — أمام الناس — متدينين ، بل متشددين دينياً ، أو (متعصبين) دينيين ، بينما هم على النقيض من ذلك تماماً ، بقوله : « وأما سيرته فى المنافقين ، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمره أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم »(١) .

فهذا هو التدين ، يعنى (التسامح الدينى) ، على النقيض مما يعنيه (التعصب الدينى) ، الذى قد يسىء إلى الدين ، سواء كانت هذه الإساءة ، عن علم من المتعصب بهذه الإساءة ، أو عن جهل بها .

إلا أن هذا (التسامح الدينى) ، لا يعنى (ترك الدين) ، قابعاً فى (أعماق الإنسان) ، لا يستطيع أن يغادرها إلى آفاق الحياة الرحبة ، (يصلحها) ، على نحو معين .. لأنه هنا يباعد بينه وبين (التدين) ، الذى يعنى أن الفرد يكون محكوماً فى تصرفاته ، بإطار معين ، يحدد معالمه .. هذا الدين ، الذى يؤمن به ، ويسير عليه .

(١) العلامة شمس الدين بن القيم : الجهاد فى سبيل الله (منقولة من كتاب « زاد المعاد » « باب الجهاد ») — دار الفتح للطبع والنشر والتوزيع ص ٣٣ .

وإنما (التسامح الديني)، يعني — كما يعني (التدين) — محاسبة للنفس، سمواً بها إلى مرتبة التكريم، التي كرم الله بها الإنسان، يوم خلقه واستخلفه .. ولتكون (قدوة) صالحة، (تدفع) الآخرين إلى الاقتداء بها، والسير على هداها .

ولم يعرف المجتمع الإسلامي، حتى في أحلك ظروفه التاريخية، هذا (التعصب الديني)، كما لم يعرف (التسيب) الديني، إلا في فترات الضعف، ولكنه عرف (التسامح الديني)، خاصة مع (أهل الذمة)، من يهود ونصارى، « والتاريخ الإسلامي، مليء بالوقائع، التي تدل على التزام المجتمع الإسلامي، بحماية أهل الذمة، من كل ظلم يمس حقوقهم المقررة، أو حرماتهم المصونة، أو حرياتهم المكفولة »(١)، مما دعا بعض (المتأسلمين)، إلى أن يرى، أن المسلمين قد « فطنوا منذ عهد بعيد، إلى أصل من أصول الحياة الحديثة، وهو أن السياسة شيء، والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم، وتكوين الدول، إنما يقومان على المنافع العملية، قبل أن يقوما على أي شيء آخر »(٢) — ناسياً أن هذا المسلك، هو صلب العقيدة الإسلامية، وأن المسلمين عندما ساروا عليه، إنما (التزموا) بنصوص دينهم، ولم يفعلوا ذلك، بدافع (المنفعة العملية) وحدها .

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوي : غير المسلمين، في المجتمع الاسلامي — الطبعة الاولى — مكتبة وهبة بالقاهرة — رمضان ١٣٩٧ هـ — اغسطس ١٩٧٧ م، ص ٢٧ .

(٢) طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨، ص ٢١ .

وفرق بين هذه المعاملة (الإسلامية)، للمخالفين فى العقيدة — مثلا — وبين معاملة المسيحيين الغربيين ، لزملائهم المسيحيين الشرقيين ، فى أثناء الحروب الصليبية ، لمجرد اختلاف الكنيستين ، الشرقية والغربية — تلك المعاملة ، التى جعلت أحد المؤلفين المسيحيين (صاحب سوسنة سليمان) يقول : إنهم « استعملوا ما أمكنهم من البربرية ، فى الأراضى التى امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ، ليخضعوا بطاركة أورشليم ، وجميع الإكليروس اليونانى ، بواسطة الحبس ، وإقفال الكنائس ، إلى أن أحوجوهم ، أن يفضلوا مودة العرب ، حكام البلاد الأصليين ، على موادتهم ، ويختاروا ، تسلط شعب يرتضى بجزية ، على أن يتسلط عليهم ملك روحى ، طمعه وطمع قصاده ، لا يشبعان) ، « حتى لقد قالوا ، كما حكى صاحب السوسنة : عمامة السلطان محمد الفاتح ، ولا تاج البابا المثلث) »(١) .

ودون هذا التسامح الدينى — الإسلامى — بكثير — تسامح أتباع اى دين آخر ، سماوى أو غير سماوى ، مع مخالفيهم فى العقيدة الدينية ، وقصة الكاثوليك والبروتستانت فى أوربا ، لا تزال ماثلة للأعين . . فى أيرلندا ، وقصة الكاثوليك مع المسلمين فى الأندلس مشهورة ، وقصة محاربة البروتستانت للإسلام اليوم ، فى العالم كله ، معروفة .. وهكذا .

الطبقات الاجتماعية :

تناولنا فى كتابنا السابع من كتب السلسلة ، عدداً من القضايا ، الواسعة الانتشار فى عالمنا المعاصر ، كان منها (قضية المساواة) ، التى رأيناها « خرافة ،

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم ، وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم) — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ١٨٨ .

لا تقوم على عقل أو علم ، ولا ترتبط ـ من قريب أو من بعيد ـ بالضمير الإنسانى ، وبواقع حياة الإنسان »(١) والتى رأيناها « نقمة ، وقى الله الناس شرها ، إعزازاً منه سبحانه وتكريماً لهذا الإنسان ، الذى كرمه ربه ، يوم خلقه واستخلفه »(٢) .

فقضية الطبقات الاجتماعية ، حقيقة واقعة ، فى المجتمع الإنسانى ، أراد الناس ذلك أم لم يريدوه ، وهى قضية لصالح هذا المجتمع ، وليست ضد مصلحته .

وهى لصالح المجتمع الإنسانى ، لأنها متصلة بقضية أكبر ، وهى قضية (التفاوت) بين الناس ، سواء فى الإمكانيات العقلية ، وفى المواهب النفسية والروحية ، وفى الكفاءة ، وفيما يناط بهم ، من أعباء ومسئوليات .

وما دام الناس (متفاوتين)فى ذلك كله ، فإنهم لا بدأن (يتفاوتوا) ، فيما يتاح لهم من أرزاق .

وهذا التفاوت فى الرزق ، أو فى الدخل ، هو الذى يؤدى إلى هذه الطبقات الاجتماعية .

وما دامت مسألة الطبقات الاجتماعية ، أمراً طبيعيا فى حياة البشر ، فإن القضاء على هذه الطبقات ، يغدو تعقيداً للمشكلة ، لا حلا لها .

وإنما حلها القرآن الكريم وحده ، حيث قال سبحانه :

— « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى (مرجع سابق) ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون »(١) .

حل القرآن الكريم هـــذه المشكلة ، باعترافه بها ،(واقعا) إنسانيا ، لا مهرب منه ، ثم توجيهها بعد ذلك ، لخدمة الجنس البشرى ، « فالكل (مسخر) لخدمة الكل ، أراد أم لم يرد ، فالطبيب مسخر لخدمة المريض ، والمدرس مسخر لخدمة تلاميذه ، ورئيس الدولة مسخر لخدمة شعبه ، والأب مسخر لرعاية أولاده ، وهلم جرا .

ويكون التفاضل بين الناس ، قائما لا محالة ، إلا أنه تفاضل ، لا تحدده (سلطة) توضع فى اليد ، أو (دخل) يصب فى الجيب ، أو ما إلى ذلك من مقاييس (التفاضل) بين الناس ، وإنما يحدده (إتقان) العمل ، وابتغاء وجه الله به ، طلبا لرحمة الله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) »(٢) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، فى شرح الآية السابقة،من سورة الزخرف ، أن « رزق المعاش فى الحياة الدنيا ، يتبع مواهب الأفراد ، وظروف الحياة ، وعلاقات المجتمع . وتختلف نسب التوزيع ، بين الأفراد والجماعات ، وفق تلك العوامل كلها . تختلف من بيئة لبيئة ، ومن عصر لعصر ، ومن مجتمع لمجتمع ، وفق نظمه وارتباطاته وظروفه العامة كلها . ولكن السمة الباقية فيه ، والتى لم تتخلف أبداً - حتى فى المجتمعات المصطنعة ، المحكومة بمذاهب موجهة ، للإنتاج وللتوزيع ــ أنه متفاوت بين الأفراد .

---

(١) قرآن كريم : الزخرف ــ ٤٣ : ٣٢ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا اخرى (المرجع الأسبق) ، ص ٧٦ .

وتختلف أسباب التفاوت ما تختلف ، بين أنواع المجتمعات ، وألوان النظم . ولكن سمة التفاوت فى مقادير الرزق ، لاتختلف أبداً ، ولم يقع يوماً - حتى فى المجتمعات المصطنعة ، المحكومة بمذاهب موجهة — أن تساوى جميع الأفراد ، فى هذا الرزق ، أبدا ».

« والحكمة فى هذا التفاوت الملحوظ ، فى جميع العصور ، وجميع البيئات ، وجميع المجتمعات ، هى » ، « ليسخر بعضهم بعضا . . ودولاب الحياة حين يدور ، يسخر بعض الناس لبعض حتما ، وليس التسخير هو الاستعلاء . . استعلاء طبقة على طبقة ، أو استعلاء فرد على فرد . . كلا !

إن هذا معنى قريب ساذج ، لايرتفع الى مستوى القول الإلهى الخالد » ، فإن « العامل مسخر للمهندس ، ومسخر لصاحب العمل . والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل . وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء . . وكلهم مسخرون للخلافة فى الأرض ، بهذا التفاوت ، فى المواهب والاستعدادات ، والتفاوت فى الأعمال والأرزاق »(١) .

وتتفق التفاسير على ماذهب إليه الشهيد سيد قطب ، وعلى أن الله سبحانه ، قد فاوت بين خلقه ، فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم ، وغير ذلك من القوة الظاهرة والباطنة »(٢) ، وأن الناس يسخر

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء : ١٩ — ٢٥) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣١٨٦ ، ٣١٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الرابع — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ، ص ١٢٧ .

« بعضهم بعضا في الأعمال ، لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا »(١) ، وأن الناس يعتبرون العظيم ، هو « الذى يكون له مال وجاه ، وفاتهم أن العظيم ، هو الذى يكون عند الله تعالى عظيما ، وهم يعتبرون مقياس العظمة الجاه والمال ، وهذا رأى الجاهلين ، فى كل زمان ومكان. أما مقياس العظمة الحقيقية عند الله تعالى ، وعند العقلاء ، هو : عظمة النفس ، وسمو الروح »(٢) . فسمو الروح وعلوها ، هو الأهم عند الله تعالى ، وليس الرزق المادى(٣) .

والطبقات الاجتماعية ، الناتجة عن هذا (التفاوت) بين الناس ، واضحة فى الغرب الرأسمالى ، فقد « ديست قضية المساواة ، تحت أقدام (البقاء للأصلح) ، والمنافسة القاتلة بين الغربيين ، باسم الحرية »(٤) .

ولم يكن غريباً ، أن تنفجر الفكرة المناقضة أو المناهضة — الشيوعية ، فى أحضان الرأسمالية الغربية ، مدعية إلغاء الطبقات الاجتماعية ، وعاملة - فى الحقيقة - على (إزالة) الطبقات القديمة ، وإحلال طبقات جديدة محلها ، على نحو ما نرى فى النظم (الثورية) ، فى عالمنا العربى والإسلامى .

فمن حيث الظاهر ، يعلن لينين ، أن « الحرب لا يمكن أن تنتهى ، ما لم تنته

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب : أوضح التفاسير — الطبعة الخامسة — المكتبة التجارية الكبرى — شعبان ١٣٧٥ — مارس ١٩٥٦ ، ص ٤١٣ .

(3) ALI, ABDULLAH, YUSUF : The Holy Quran, Text, Translation and Commentary, Volume Two; The Murray Printing Company, Cambridge, Massachusetts, 1946, p. 1330.

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا اخرى (مرجع سابق) ، ص ٨١ .

الطبقات الاجتماعية » ، « وهو يعتبر مثل هذه الحروب ضرورية، وقانونية، وتقدمية »(١) .

ولكن هذا الظاهر، (يفضحه) (البيان الشيوعى) ، الصادر قبيل ثورات ١٨٤٨ ، فى أوربا ، حيث يرى أنه « لا تملك البروليتاريا شيئاً خاصاً بها ، حتى تصونه وتحميه ، فعليها إذن ، أن تهدم كل ما كان يحمى ويضمن الملكية الخاصة »(٢) .

وكثيراً ما نسمع التمجيد للبروليتاريا (أو الطبقة العاملة)، فى الكتابات الشيوعية ، وذلك لأن الشيوعيين يهدفون — دوماً — إلى تحريك « كتل الغوغاء ، ويتملقون كثرة العمال والفلاحين ، وينادونهم بالطليعة وصناع التاريخ وبناة المستقبل ، لا عن صدق واقتناع ، ولكن عن انتهازية ، ليستعملوهم فى عمليات التهييج والتحريض »(٣) ، التى تمهد لهم سبيل (الانقضاض) على السلطة ، وعندها (يستولون) على كل شىء، (يسخرون) الجميع ، وعن رأسهم العمال والفلاحون، لخدمة الطبقة الجديدة — طبقة(الثوريين) ، كما يحبون أن يسموا أنفسهم .

ولذلك يلفت نظر المرحوم عباس العقاد ، أن « من الأوهام الشائعة ، أن الحكومة الماركسية ، هى حكومة العمال والصناع » ، وأن « الجماعات

---

(1) LENIN, V. I. : The National Liberation Movement in the East; Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1957, p. 95.

(٢) ماركس وانجلس : بيان الحزب الشيوعى — دار التقدم — موسكو — ١٩٦٧ ، ص ٥٢ .

(٣) مصطفى محمود : لماذا رفضت الماركسية ، حوار مع خالد محيى الدين — المكتب المصرى الحديث — ١٩٧٦ ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

أو اللجان ، التي يسمونها بالسوفييت ، ليست هي جماعات مؤلفة من العمال والصناع ، كما يخطر على البـــال ، ولكنها جماعات مختلطة من المديرين ، والمشرفين على المصانع ، والقائمين بتنفيذ المشروعات الاقتصادية »(١) ، وأن « هـذه الطبقة — طبقة الحاكمين في البلاد الشيوعية — تأخذ الأقوات ، من أفواه العاملين ، لتنفقها على جيوش من الجواسيس والأرصاد ، وعلى جيوش من العساكر والضباط ، وعلى جيوش من الدعاة والمداحين » ، وأنها « تنفرد بعيشة الرخاء ، وتختار لنفسها ما تشاء من المساكن والأطعمة ، وتأمر وتنهى ، وتعز وتذل » ، حتى « تحمى وجودها ، وتحفظ نفوذها ، وتقطع الطريق على كل منافسة تخشاها ، ولو هلكت الأيدى العاملة ، وطال عليها عهد التسخير والتضليل .

ولم يحـــدث قط في التاريخ ، أن سلطاناً غاشماً مستبداً ، أنفق من الأموال على السلاح والجاسوسية ، ما ينفقه هؤلاء الطغاة والمستبدون ، في بلاد الشيوعيين »(٢) .

ويتصل بموضوع الطبقات الاجتماعية ، موضوع الرق .

(فالاسترقاق) موجود في الغرب الرأسمالي ، وفي الشرق الشيوعي ، على السواء ، نتيجة (لتفتيت) المجتمع - هنا وهناك - إلى (طبقات اجتماعية) ، إما نتيجة (للدخل) ، أو للاتصال (بالسلطة) .

ولم يحرر الإنسان من هذا (الاسترقاق) سوى الإسلام ، بينما هو « لم يمح بقانون من أمريكا ، بلد الحريات ، إلا منذ قرن واحد فقط »(٣) .

---

(١) عباس محمـود العقاد : أفيـون الشعوب ، المذاهب الهدامة — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) محمد جـلال كشك : الغـــزو الفكرى — من سلسلة (مفاهيم اسلامية) — الطبعة الثانية — الدار القومية ، للطباعة والنشر بالقـاهرة — مارس ١٩٦٦ ، ص ٢٢ .

وقبل الإسلام ، كان (الرق)، هو النظام الشائع ، وقد أيده الفلاسفة ، كأفلاطون وأرسطو ، كما أيدته الديانات السابقة على الإسلام ، وخاصة المسيحية(١) ، فلما جاء الإسلام ، « لم يشرع الرق ، الذى كان مشروعا قبله ، فى جميع الأديان الكتابية ، « بل ، شرع العتق ، وحض عليه ، وجعله من وسائل القربى ، والتكفير عن السيئات »(٢) ، وبذلك « سبق التطور الدولى ، إلى تقرير فك الأسرى ، عند الأعداء »(٣) .

وبذلك تغدو قصة (الرق) فى الإسلام ، كقصة الطبقات الاجتماعية فيه ، التى هى فرع من فروعها ، « صفحة مشرقة فى تاريخ البشرية » على حد تعبير الأستاذ محمد قطب ، « فالإسلام لم يجعل الرق ، أصلا من أصوله ، بدليل أنه سعى إلى تحريره ، بشتى الوسائل ، وجفف منابعه كلها ، لكى لا يتجدد ، فيما عدا المنبع الواحد ، الذى ذكرناه ، وهو رق الحرب المعلنة ، للجهاد فى سبيل الله » .

وأما ماحدث فى بعض العهود الإسلامية ، من الرق فى غير أسرى الحروب الدينية ، ومن نخاسة واختطاف وشراء لمسلمين ، لا يجوز استرقاقهم أصلا ، فإن نسبته إلى الإسلام ، ليست أصدق ولا أعدل ، من نسبة حكام المسلمين اليوم إلى الإسلام ، بما يرتكبونه ، من موبقات وآثام »(٤) .

---

(١) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ــ دار الاسلام بالقاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) عباس محمود العقاد ، واحمد عبد الغفور العطار : الشيوعية والاسلام ــ الطبعة الثانية ــ مطابع دار الأندلس ، للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، ص ١٨٣ .

(٣) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن ــ دار الاسلام بالقاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٩٨ .

(٤) محمد قطب : شبهات حول الاسلام ــ الطبعة العاشرة ــ دار الشروق ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، ص ٥٧ .

الفصل الثالث

دينامية النشاط الاقتصادى

تقـــديم :

يكاد الجـانب الاقتصادى فى حيـاة أى مجتمع ، أن يـكون أخطر الجوانب على الإطلاق .

وإذا كنا مع السيـد المسيح ، فى أنه « ليس بالخبز وحده ، يحيا الإنسان »[1] ، فإننا يجب ـ أيضاً ـ ألا ننسى ، أنه (بدون الخبز ، لا يمكن للإنسان أن يحيا) .

وقضية الإنسان — على ذلك — تغدو ، هى أن يقيم (توازناً) ، بين (الخبز)، الذى لا غنى له عنه ، وبين (الروح)، الذى لا يكون — بدونه — إنساناً ، حتى لا يتحول إلى (بطن) كبير ، لا يصنع منه إنساناً ، أو إلى روح فقط ، لا يستطيع بها وحدها أن يحيا .

وقد رأينا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، عن (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) ، كيف حل الإسلام هـذه المشكلة المعقدة ، جامعاً بين الروح والجسد ، وحاجات هذا ، وحاجات ذاك .. فى إطار شمولى متكامل .. بسيط كل البساطة[2] .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى ـ ١ : الاصحاح الرابع : ٤ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٧٥ وما بعدها .

والنشاط الاقتصادى لأى مجتمع ، يكاد أن ينحصر فى جانبين ، أولهما، هو (رأس المال) ، وثانيهما هو (النشاط البشرى) ، لاستغلال رأس المال .

والمقصود برأس المال ، هو الأموال (السائلة)، التى تستثمر فى مختلف المشروعات ، فيؤدى استثمارها هذا ، إلى زيادتها ، وعلى هذه الزيادة — أو بعضها — يعيش أبناء المجتمع . كما أن المقصود به — أيضاً — هو المادة الأولية المتاحة للمجتمع ، والأرض الزراعية المتوفرة لديه ، والمشروعات القائمة فعلا ، والتى يتم تشغيلها ، فيؤدى هذا التشغيل إلى توفير أموال ، يعيش عليها أبناء المجتمع ، أو يستثمرونها .

ولرأس المال — بالمفهوم السابق — ديناميات عديدة .

وللنشاط البشرى — لاستثماره — ديناميات عديدة أيضا .

وهذه الديناميات ، وتلك، هى موضوع هذا الفصل، التى أرى من الأفضل ، التمهيد لها ، بالحديث عن الإطار العام لهذه الديناميات فى الإسلام، أو الجو العام ، الذى تعمل فيه جميعاً .

الاطار العام للنشاط الاقتصادى الاسلامى :

وهذا الإطار العام ، لهذا النشاط الاقتصادى فى الإسلام ، لا ينبع من فراغ ، وإنما هو مستمد من (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) ، على النحو الذى وضحناه ، فى الكتاب السابق من كتب السلسلة (١) .

والمجتمع الإسلامى ، على نحو ما رأيناه فى الكتاب السابق(٢) ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ وما بعدها ، حتى نهاية الكتاب .

(٢) ارجع بصفة خاصة ، الى الفصل الثانى من المرجع السابق ، بعنوان (مجتمع انسانى) ، ص ٦٥ وما بعدها .

« – بانتسابه إلى الإسلام – لم يخرج عن كونه مجتمعاً بشرياً، يتكون من أفراد، لهم ميول فردية، توحى بها طبائعهم، كـكائنات حية، لها من فطرتها، غرائز مختلفة، بجانب ما تميزت به، من قدرة على التفكير.

ودور الإسلام، إزاء هذه الطبائع البشرية، لا يتعدى توجيهها، وتهذيبها ».

« ولهذا يقر الإسلام : ميل الإنسان إلى التملك، وميله إلى النسل، وميله إلى الاطلاع والمعرفة، وميله إلى الاجتماع . يقر الإسلام ميل الإنسان إلى حب الذات، وكذا ميله إلى مشاركة الغير مشاركة وجدانية . يقر الإسلام هذه الميول للإنسان، ويقر غيرها ».

« ومن هنا، لا يحرم عليه، الملكية الفردية، ولكنه فحسب، لا يتركه يتحكم عن طريق ما يملك، فى إذلال غيره وامتهانه، أو فى حرمانه من حق الحياة .. »(١).

وهكذا نجد الإسلام (يقر) طبائع البشر، ولكنه لا (يهبط) بها إلى أسفل، بل (يرقى) بها إلى أعلى، حتى تتحول إلى عناصر (بناءة)، فى الكيان الاجتماعى، ويتحول الإنسان — بها — إلى خليفة لله فى الأرض.

والإسلام — فى رقيه بطبائع البشر — يسلك مسالك متعددة، يهمنا منها هنا الآن، أنه يوفر لها (الجو العام) النظيف، من خلال «وجود رأى عام فاضل، يتعاون على الخير، ودفع الشر، فإن المجتمع، فى مظهره العام، يكون بيئة صالحة، لأن تترعرع فى ظلها الفضيلة، وتختفى من نورها الرذيلة.

---

(١) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم — الطبعة الخامسة — مكتبة وهبة — رجب ١٣٩٧ هـ — يونيه ١٩٧٧ م ، ص ٣٣٧ .

وإن الرأى العام،له رقابة نفسية ، تجعل كل شرير ينطوى على نفسه ، فلا يظهر ، وكل خير ، يجد الشجاعة فى إعلان خيره ، فيظهره ، وإنه لا يهذب الآحاد ، إلا الرأى العام الفاضل ، ولا يفسد الجماعة،إلا الرأى العام الفاسد، الذى يتقاعد عن نصرة الفضيلة ، ويترك الرذائل رافعة رأسها »(١) .

وبالإضافة إلى خلق (الرأى العام الفاضل) ، الذى يوجه الناس إلى العمل والإنتاج ، يوفر الإسلام الأمن والطمأنينة للعاملين فعلا ، من خلال إعلان الحرب ، على من يستعيضون عن (العرق)،سبيلا إلى الغنى، (بالسرقة) :

— « والسارق والسارقة ، فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم »(٢) .

ويعلق الشهيد سيد قطب ، على هذه الآية الكريمة،بقوله : «إن الإسلام يبدأ بتقرير حق كل فرد ، فى المجتمع المسلم،فى دار الإسلام ، فى الحياة ، وحقه فى كل الوسائل الضرورية،لحفظ الحياة » .

« والإسلام كذلك يتشدد،فى تحديد وسائل جمع المال ، فلا تقوم الملكية الفردية فيه،إلا من حلال . . ومن ثم لا تثير الملكية الفردية فى المجتمع المسلم ، أحقاد الذين لا يملكون ، ولا تثير أطماعهم ،فى سلب ما فى أيدى الآخرين ، وخاصة أن النظام،يكفل لهم الكفاية ، ولا يدعهم،محرومين .

والإسلام يربى ضمائر الناس وأخلاقهم، فيجعل تفكيرهم،يتجه إلى العمل، والكسب عن طريقه ، لا إلى السرقة ،والكسب عن طريقها .. فإذا لم يوجد

---

(١) الامام محمد ابو زهرة : فى المجتمع الاسلامى ـ دار الفكر العربى ، ص ٦ .

(٢) قرآن كريم : المائدة ـ ٥ : ٣٨ .

العمل ، أو لم يكف لتوفير ضرورياتهم ، أعطاهم حقهم ، بالوسائل النظيفة الكريمة . .

وإذن فلماذا يسرق السارق ، فى ظل هذا النظام ؟ إنه لا يسرق لسد حاجته ، وإنما يسرق، للطمع فى الثراء، من غير طريق العمل . والثراء لا يطلب من هذا الوجه ، الذى يروع الجماعة المسلمة فى دار الإسلام ، ويحرمها الطمأنينة ، التى من حقها أن تستمتع بها ، ويحرم أصحاب المال الحلال ، أن يطمئنوا على مالهم الحلال »(١) .

فالإسلام ليس مسئولا عن (حماية) (المنحرفين) ، الذين يعيشون فى مجتمعه ، ولكنه مسئول عن حماية الشرفاء وحدهم ، وهو مكلف - لذلك - أن يزيل هؤلاء المنحرفين، من طريق هؤلاء الشرفاء ، ومكلف — بالإضافة إلى ذلك — « أن يحافظ على نفوسهم، وأموالهم، وأعراضهم »(٢) .

وفى هذا (الجو العام النظيف) ، (الآمن) كل إنسان فيه على نفسه، وعلى ما يملك ، وعلى ثمرة عرقه وكده ، لا يكون أمام (متخاذل) عذر ، ينكص به عن السعى والعمل . وفى هذا (السعى) ، نجد المجتمع الإسلامى ، شأنه فى ذلك، شأن المجتمعات الأخرى، تتشابك فيه المصالح ، وتتزاحم الدوافع ، ويكثر الشد والجذب ، ويتكرر الأخذ والعطاء ، و« يتبادل الأفراد ، وتتعامل الجماعات ، وتتفاعل القوى ، وتتنافس القدرات » ، و« يندمج الفرد ، ويندمج البيت ، وتندمج الأسرة » .

« وعندما يفرض بعض المذاهب الاجتماعية ، أن العلاقة بين الفرد

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (مرجع سابق) ، ص ٨٨٢ ، ٨٨٣ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : تدوين الدستور الاسلامى — الطبعة الثانية — دار الفكر — دمشق ، ص ٧٢ .

والفرد ، هى أبدا علاقة الصراع والخصومة ، وأن العلاقة بين الأفراد والسلطات ، هى أبدا علاقة الكبت والإجبار .. يقرر الإسلام،أن العلاقة بينهم جميعاً — فى المجتمع المسلم — هى علاقة الود والرحمة ، وعلاقة التضامن والتعاون، وعلاقة الأمن والسلام . ويقرر أن القاعدة ، التى تقوم عليها حياتهم ، هى قاعدة التناسق بين الحقوق والواجبات ، والتعادل بين المغانم والمغارم ، والتوازن بين الجهد والجزاء »(١) — فى إطار من « الأخوة الدينية » (٢) .

ومن ثم نجد(التراحم) .سمة أساسية من سمات الحياة فى المجتمع الإسلامى، تؤثر فى دينامية الحياة فى هذا المجتمع ، فالكل فيه (مساهم) فى الإنتاج،حتى ولو كان غير منتج حقيقة ، بسبب عدم وجود مجال للعمل ، أو بسبب اضطراب الصحة، أو بسبب الشيخوخة .

وهو عكس ما نراه، فى المجتمعات الأخرى،غير الإسلامية،المعاصرة،حيث نرى «العجائز والشيوخ فى المجتمع الأمريكى،هم أحط قدراً، وأصغر شأناً،من أى مخلوق آخر ، حتى القطط والكلاب»(٣) — وذلك لأن المجتمعات الغربية المتقدمة كلها ،وعلى رأسها المجتمع الأمريكى — بطبيعة الحال— « تؤمن بالقوة والسرعة والجاذبية الجنسية ، وهى صفات لا تتوفر لجيل الشيوخ،ولذلك تقسو الحياة عليهم ،ويهجرهم أبناؤهم ، وتضيق بهم سبل الرزق ، ويدركون أنهم أصبحوا عالة على المجتمع ، وعلى الحياة نفسها »(٤) .

---

(١) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ١٠٣ .

(٢) الامام الأكبر ، محمود شلتوت : الاســلام ، عقيدة وشريعة — الطبعة التاسعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٤٣٣ .

(٣) محمد الحسنى (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

(٤) الدكتور فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو ، من الطفولة الى الشيخوخة — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ ، ص٤٢٩ .

وفى ضوء هذا (التراحم) الإسلامى ، يمكن فهم فلسفة (الزكاة)، فى الإسلام ، فهى « ليست صدقة منثورة ، كما توهم بعض الناس ؛ وليس فيها إذلال للفقير ، وليست هجية ، كما ادعى البعض ، إنما هى الضريبة الاجتماعية ، إن صح لنا أن نعبر عن هذه الفريضة الدينية ، بهذا التعبير »(١) .

وهى — من هذا المنظور — « أول ضريبة نظامية فى تاريخ الاقتصاد ، فى العالم ، فقد كانت الضرائب قبل ذلك ، تفرض حسب هوى الحكام ، وبقدر حاجتهم إلى الأموال ، لتنفيذ مآربهم الشخصية ، وكان حملها يقع دائماً ، على الفقراء ، أكثر مما يقع على الأغنياء ، أو عليهم وحدهم ، دون الأغنياء »(٢) .

ومن ثم فهى تعبير حى ، عن ذلك (التراحم) ، الذى يسود المجتمع الإسلامى ، الذى يتجاوز الإسلام فيه ، حدود (الضمير) المسلم ، إلى آفاق التشريع الإسلامى ، ليكون لها صفة الإلزام القانونى ، إن مال هذا الضمير إلى الاستنامة عنه ، والمال والجاه — بطبيعتهما — منومان جيدان ، لأى ضمير .

وهو تراحم نراه يتجه — دوماً — وجهة واحدة ، من الغنى إلى الفقير ، ومن القوى إلى الضعيف ، وممن عنده عموماً ، إلى من ليس عنده .

ولم يكن غريباً ، أن يحظى اليتامى والمساكين والفقراء وأبناء السبيل .. والنساء ، وغيرهم ، برعاية قرآنية خاصة ، ليس هنا مجال الإشارة إليها ، ولكنها تلفت النظر — حقاً — فى كتاب الله المحكم .

ويرى الدكتور عماد الدين خليل ، أن « (الإنفاق) الفردى ، و (الصدقة)

---

(١) الامام محمد ابو زهرة : فى المجتمع الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٨٦ .

(٢) محمد قطب : شبهات حول الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ .

الاختيارية ، و (التكافل) الاجتماعى ، وغيرها من فاعليات العطاء ، التى يمارسها المسلم ،إزاء إخوانه ، تمثل جزءاً أساسياًمن برنامج العدل الاجتماعى فى الإسلام ، وتغطية مساحة واسعة،من نداءات القرآن،فى هذا المجال ، وتلعب دوراً كبيراً،فى إحداث التوازن والانسجام والتعاون والترابط ،بين أفراد المجتمع المسلم وفئاته ، وتجتث أدران الحقد والكراهية والشر ، لكى تزرع بدلا منها ، علائق التكافل والمحبة والخير »(١) .

كما يرى أن الإسلام ، لا يدفع إلى ذلك كله ، بمجرد (الحض) عليه ، « بكلمات متثائبة تقال » ، و « إنما بالفعل الدائم ، والحركة المستمرة ، وبالثورة — إذا اقتضى الأمر — لتحقيق هذا المطلب الأساسى »(٢) .

راس المال :

ورأس المال مشكلة ، تكاد تتصدر المقدمة ، فى فكر المفكرين ، وفى واقع النظم ، القديمة والحديثة ، وذلك لأنه (عصب الحياة) ، بالنسبة لأى مجتمع من المجتمعات .

ويكاد الفكر القديم والحديث ، كما تكاد النظم القديمة والحديثة ، أن تقف — من المشكلة — موقفاً واحداً ، من موقفين اثنين متناقضين ، أحدهما ماثل اليوم ، فى النظام الرأسمالى ، والثانى ماثل — اليوم أيضاً — فى النظام الاشتراكى ، وكلاهما ، على طرفى نقيض .

---

(١) د. عماد الدين خليل : « القرآن الكريم ، والمسألة الاجتماعية (خطوط عريضة) » — **المسلم المعاصر** — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد العاشر — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ ، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

ولم يشذ عن هذين الموقفين المتناقضين ، فى القديم أو الحديث ، سوى الإسلام ، على نحو ما سنرى .

والنظام الرأسمالى الحاضر ، هو التطور الطبيعى ، لنظام الإقطاع ، الذى كان سائدا قبل تفجر (الثورة الصناعية) فى الغرب ، فى منتصف القرن الثامن عشر .

ويقوم النظام الرأسمالى ، على أساس الملكية (الفردية) لرأس المال ، على أساس أن « الفرد قوة اجتماعية ، ضرورية ونافعة »(١) ، وعلى أساس أن (المنافسة) بين الأفراد ، هى السبيل إلى تحقيق التقدم الاجتماعى .

ولا دخل للدولة - بوصفها ممثلا للمجتمع - فى هذا النشاط الاقتصادى ، الذى يقوم به الأفراد والجماعات ، فإذا تدخلت ، فإنها تتدخل « كحكم فقط »(٢) ، « بسن بعض القوانين »(٣) ، التى تضمن صالح الأفراد المتنافسين ، والجماعات المتنافسة .

ولقد أثرت هذه (الفردية) ، وتلك (المنافسة) ، الرأسماليتان ، تأثيرهما الواضح ، لا فى غرب أوربا وحده ، الذى تفجر فيه الإصلاح الدينى ، فكان مقدمة لهذه (النزعة) الرأسمالية ... بل فى الحضارة الإنسانية كلها ، فإن « جميع مظاهر الحضارة الحديثة وإنجازاتها » ، « ثمار مباشرة ، أو لا مباشرة ، للعملية الرأسمالية »(٤) ، حيث « أقيمت فى ظل الرأسمالية ، المعامل والمصانع ،

---

(١) جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى — ترجمة وتقديم راشد البراوى — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٢ ، ص ٨١ .

(2) SNELL, J. B. : Early Railways (Pleasures and Treasures); Weidenfeld and Nicolson, London, 1967, p. 41.

(3) Ibid., p. 42.

(٤) جوزيف شومبيتر : الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية — تعريب وتعليق خيرى حماد — الجزء الأول — العدد (١٨١) من (اخترنا لك) — الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٢٠١ .

وأنشئت السكك الحديدية ، وبنيت السفن الكبيرة » ، «فازداد إنتاج مختلف الطيبات المادية، عشرات ومئات الأضعاف ، عما كان عليه «فى فترة ما قبل المرحلة الرأسمالية »(١) ، حتى أن برتراند رسل ، يلاحظ أن « تغير وسائل الإنتاج » «كان » ، « منذ قدماء المصريين إلى عام ١٧٥٠ ، أقل من تغيرها، من عام ١٧٥٠ ، حتى يومنا هذا »(٢) .

ولكنها أدت — أيضاً — إلى تحطيم الروح الإنسانى ، وتحويل الإنسان، إلى (بطن كبير) ، لا يشبع أبدا — ومن هنا كان الصراع والقلق المدمر ، وانعدام التراحم ، سمة الحياة فى المجتمعات الرأسمالية اليوم ، رغم التقدم الحضارى ، والازدهار المادى ، وإشباع كل إنسان هناك ، لكل حاجاته ...

أما **النظام الاشتراكى** ، فقد تفجرت فلسفته الحديثة ، فى أحضان الغرب الرأسمالى ذاته ، ولذلك كان ماركس ذاته ، يرى أن نظريته هو، « وليدة النظام الرأسمالى الحاضر »(٣) ، « بعد أن أفلس الفكر البورجوازى ، وتناقضت تقاليده، فى البلاد المختلفة »(٤) .

---

(١) أ. اليكسييف : القانون الاقتصادى ، للراسمالية الحديثة — ترجمة اسماعيل عبد الرحمن — دار الفكر — ١٩٥٨ ، ص ٩ .

(٢) برتراند رسل : النظرة العلمية — تعريب عثمان نويه — مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن — الجامعة العربية — الادارة الثقافية — مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٣١ .

(٣) الدكتور عبد الحليم الرفاعى : الاقتصاد السياسى — الجزء الاول — الطبعة الأولى — ١٩٣٦ ، ص ٥٨ .

(٤) دكتور عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى — دار الفكر العربى — ١٩٦٨ ، ص ٤١ .

وهو يقوم على أساس ملكية الدولة، لرأس المال كله ، وحرمان الأفراد، من أى حق لهذا التملك، على أساس أنه إذا تغيرت أدوات الإنتاج، على هذا النحو ، « فإن كل ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية ، سوف تتغير بالضرورة »(١) .

والدولة فى الفكر الاشتراكى. أو الشيوعى، غيرها فى الفكر الغربى - الراسمالى، فهى — فى الفكر الغربى — ممثلة لمواطنيها ، أما فى الفكر الاشتراكى ، فهى فى يد البروليتاريا ، أو الطبقة العاملة ، أو مجموعة (الثوريين) الشيوعيين ، الذين استطاعوا الوصول إلى السلطة ، من خلال تنظيماتهم السرية المحكمة ، ويستطيعون المحافظة عليها ، من خلال « انتشارهم بين الجماهير العريضة »(٢) .

وقد رأينا فى ختام الفصل السابق ، أن (الجماهير العريضة) ، التى يدعى الاشتراكيون قيامهم بالثورة من أجلها ، أكثر معاناة، من تلك الجماهير، الموجودة فى المجتمعات الرأسمالية ، وأن طبقة قديمة كانت تملك قبل الثورة ، حرمت من كل شىء ، لتحل محلها طبقة جديدة ، لم تكن تملك شيئا(٣) .

فهو مجرد ادعاء كاذب ، حتى يصلوا إلى السلطة .

ويشذ الإسلام — كما سبق — عن الرأسمالية والاشتراكية معا ، فى موقفه من رأس المال ، فالمال ليس ملكا للأفراد ، كما هو الحال فى الرأسمالية ، كما أنه ليس ملكا للدولة ، كما هو الحال فى الاشتراكية ، ولكنه ملك لله

(1) HANS, NICHOLAS, Op. Cit., p. 202.

(2) POSPELOV, P.N. (Edited by) : Vladimir Ilyich Lenin, A Biography: Second Edition, Progress Publishers, Moscow, 1966, p. 331.

(٣) ارجع الى ص ٦٢ ، ٦٣ من الكتاب .

سبحانه ، شأنه فى ذلك ، شأن كل موجود فى المجتمع ، من أناس وأشياء ، وشأن كل موجود فى هذه الحياة .

ولا تعنى ملكية الله سبحانه للمال ، أو لرأس المال ، أن هذا المال شيء (مشاع) ، لا علاقة له بالأفراد ، أو بالدولة ، وإنما هو يعنى أن من يملكه ، لا يملكه بشخصه ، وإنما هو (مستخلف) فيه ، عن الله سبحانه ، شأن المال فى ذلك ، شأن كل شيء (يملكه) الإنسان ، بلغتنا نحن ، بما فى ذلك جسده وأسرته :

— « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا ، لهم أجر كبير »(١) .

وتسبق آية استخلاف الله للإنسان، فى كل شيء خلقه له ، ورزقه به ، فى (سورة الحديد) ، آيات ست ، تبين (صك) ملكية الله سبحانه لكل شيء ، ومن ثم يعلق الشهيد سيدقطب ، على الآيات السبع، بقوله : « ولما كان مدار السورة، على تحقيق حقيقة الإيمان فى القلب ، وما ينبثق عن هذه الحقيقة، من خشوع وتقوى ، ومن خلوص وتجرد ، ومن بذل وتضحية ، فقد سارت فى إقرار هذه الحقيقة فى النفوس ، التى كانت تواجهها ، والتى توجد فى كل مجتمع إسلامى »(٢) .

و « هكذا ينطلق النص القرآنى الكريم ، فى مفتتح السورة ، فتتجاوب أرجاء الوجود كله، بالتسبيح لله ، ويهيم كل شيء فى السماوات والأرض ،

---

(١) قرآن كريم : الحديد — ٥٧ : ٧ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (مرجع سابق) ، ص ٣٤٧٦ .

فيسمعه كل قلب مفتوح ، غير محجوب بأحجبة الفناء »(١) .

« إن كل شيء فى السماوات والأرض، سبح لله ، مالك السماوات والأرض، الذى لا شريك له فى ملكه ،فهو تسبيح المملوك ، لمالكه المتفرد ، الذى يحيى ويميت ، فيخلق الحياة ويخلق الموت ، ويقدر الحياة لكل حى ، ويقدر له الموت ، فلا يكون إلا الذى قضاه »(٢) .

حتى إذا مهدت الآيات الست ، كانت آية الاستخلاف هذه (السابقة)، حيث « ترتبط هذه الإشارة ، بما سبق من الحقائق الكلية، فى مطلع السورة ، ثم تقوم هى بدورها، فى استثارة الخجل والحياء من الله ، وهو المالك ، الذى استخلفهم وأعطاهم »(٣) .

فالمال مال الله،(وديعة) عند الإنسان ثم تأتى آية أخرى ، فى (سورة النور)، لتبين كيفية التصرف فيه ، حيث يقول سبحانه :

— « وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا .. »(٤) .

ولذلك يرى الشهيد سيد قطب، فى التعليق عليها، أن هذا « الإيمان، الذى يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخاجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع ربه، فى أهله ومع الناس جميعاً ... يتوجه بهذا كله إلى الله »، وأن ذلك الإيمان، منهج حياة كامل، يتضمن كل ما أمر الله به ، ويدخل فيما أمر الله به، توفير الأسباب، وإعداد العدة ، والأخذ بالوسائل ، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى فى الأرض

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٧٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٧٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٨٢ .
(٤) قرآن كريم : النور — ٢٤ : ٥٥ .

... أمانة الاستخلاف »[1] ، وأن أمانة (الاستخلاف) هذه ، « ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم .. إنما هي هذا كله ، على شرط استخدامه ، فى الإصلاح والتعمير والبناء » . « إن الاستخلاف فى الأرض ، قدرة على العمارة والإصلاح ، لا على الهدم والإفساد ، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة ، لا على الظلم والقهر ، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشرى ، لا على الانحدار بالفرد والجماعة ، إلى مدارج الحيوان »[2] .

ومن ثم فالمال (عبء) على من يملكه ، وليس (ميزة) لهذا الذى يملكه .

وليس معنى ذلك ، أن المسلم مكلف بأن (يزهد) فيه ، لأنه مكلف بأن يعمل ويكسب ، فهو (شر لا بد منه) ، إن صح هذا التعبير .

والمال عبء على من يملكه ، لأنه محاسب عن كل جزء منه : من أين كسبه ؟ وكيف أنفقه ؟

والوسيلة الأساسية لكسب المال ، هى العمل ، سواء فى ذلك العمل باليد ، أو العمل من خلال رأس المال ، وتشغيله وتنميته .

أما أن ينمى رأس المال نفسه بنفسه ، بدون العمل ، فهو المحرم .

ومن هنا كان تحريم الربا فى الإسلام ، لأنه — فوق أنه كسب للمال ، بدون عمل — استغلال من الإنسان ، لحاجة الإنسان الآخر ، وتعطيل للقوى

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع (الأجزاء : ١٢ — ١٨) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٥٢٨ ، ٢٥٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢٩ .

العاملة المنتجة فى المجتمع ، لا لسبب، إلا لأن لدى بعضها المال ، الذى يعمل ، وينمو حراماً ، وتعيش هى عليه ، ولدى بعضها الآخر ، الفقر ، الذى يزرع فى النفوس يأساً ومرارة ، لا يمكن أن يتم فى جحيمهما ، عمل منتج .

وهكذا ، نجد الإسلام « يحقر المسألة ، ويمجد العمل ، ويأمر بأن يأخذ العامل حقه فيما عمل ، دون أن ينتقص من حقه شيء »(١) .

ويقودنا ذلك ، إلى النقطة الثانية من القضية — وهى الخاصة بالنشاط البشرى الاقتصادى .

النشاط البشرى الاقتصادى :

رأينا — فيما سبق — أن (العمل) ، هو الأساس ، الذى يقوم عليه النشاط الاقتصادى الإسلامى كله .

ولا يقتصر العمل — فى الإسلام — على العمل اليدوى — أو عمل الجسم — وحده ، وإنما هو يتسع ، ليشمل « عمل الجسم وعمل الفكر سواء »(٢) .

والمتتبع لحضارة البشر فى القديم والحديث ، لا يسعه إلا أن يرى ذلك (الحوار الدائم) — على حد تعبير الدكتور فؤاد زكريا — « بين الفكر والفعل ، أو بين الرأس واليد . وقد اتخذ هذا الحوار صوراً متعددة ، طوال تاريخ البشرية : فكان أحياناً يتخذ صورة عداء متبادل ، أو ترفع من الفكر على الفعل ، أو تضافر وتعاون ، بين عقل الإنسان ،

---

(١) خالد محمد خالد : من هنا نبدأ — الطبعة الثانية — دار النيل للطباعة — ١٩٥٠ ، ص ٤٤ .

(٢) سيد قطب : معركة الاسلام والراسمالية — الطبعة الخامسة — دار الشروق — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٤٠ .

ويديه »(١) .

ولكن هذا (الحوار الدائم) ، لم يسفر عن تعاون بينهما، إلا نادراً ..
وقد بلغ هذا (الحوار) ذروة روعته — بالفعل — فى الإسلام ذلك أنه
— فيه — هو معنى (رزق) الله لعباده ، فهذا الرزق — فى الإسلام — لا يعنى
أن السماء تمطر ذهباً أو فضة، أو أن (بابانويل) - كما فى المسيحية - يأتى بالفرحة
إلى الناس ، محققاً لهم الآمال، دون كد أو تعب ، وإنما « تكفل الله برزق عباده ،
إنما هو فى إيداعه موارد الرزق فى الكون ، وأسباب كسبه فى الإنسان ، وفى
تنظيمه لتوزيع هذه الأرزاق ، عن طريق الأديان والشرائع »(٢)

ومن ثم كانت أولى آيات القرآن الكريم ، التى تنزل بها الوحى ، هى
قوله سبحانه وتعالى :

— « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك
الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم »(٣) .

ومن ثم — أيضاً — كان تكريم الإسلام الواضح، للعلم والعلماء ، حتى
لقد جعل القرآن الكريم (العلم)، أهم أسباب تفضيل (الإنسان)، على غيره من

---

(١) د. فؤاد زكريا : آراء نقدية ، فى مشكلات الفكر والثقافة — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٥ ، ص ٢٨٧ — من مقال بعنوان : « الفلسفة والتكنولوجيا ، فى العالم القديم » ، منشور فى مجلة (الكاتب) — نوفمبر ١٩٦٥ .

(٢) ميرزا محمد حسين : الاسلام وتوازن المجتمع — ترجمة فتحى عثمان — رقم (٣٥) من (سلسلة الثقافة الاسلامية) — دار الثقافة العربية للطباعة — ذو القعدة ١٣٨١ هـ — مايو ١٩٦٢ م ، ص ١٦ — من الهامش للمترجم .

(٣) قرآن كريم : العلق — ٩٦ : ١ — ٥ .

مخلوقات الله كلها، بما فى ذلك الملائكة المقربون ، حيث قال سبحانه، فى معرض حديثه عن قصة خلق الإنسان، وأمر الملائكة بالسجود له :

— « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة، فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء، إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم »(١) .

حيث يرى ابن كثير ، أن « هذا مقام ، ذكر الله تعالى فيه ، شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه من علم أسماء كل شىء، دونهم » ، « ليبين لهم شرف آدم ، بما فضل عليهم فى العلم »(٢) .

ويلقى الإمام ابن تيمية، مزيداً من الضوء، على قضية هذا (التفضيل) ، فيرى أن الملائكة ، لا تحتاج إلى هذا العلم، لأن مقرها هو السماء ، وإنما الإنسان ، هو الذى، يحتاج إليها، بوصفه خليفة فى الأرض، لا فى السماء »(٣).

كما يرى الشهيد سيد قطب ، أن قصة الخلق ، وقصة التفضيل ، هى قصة « المشيئة العليا ، تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود ، زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق، فى الإبداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل ، وكشف ما فى هذه

---

(١) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الأول — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) شيخ الاسلام ابن تيمية : الايمان — صححه وعلق عليه : الدكتور محمد خليل هراس — دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة : ص ٨١ .

الأرض ، من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله — بإذن الله — فى المهمة الضخمة ، التى وكلها الله إليه .

وإذن فقد وهب هـذا الكائن الجديد ، من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة ، كفاء ما فى هـذه الأرض ، من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، ووهب من القوى الخفية ، ما يحقق المشيئة الإلهية »(١) .

ومن ثم — أخيراً — كان ربط هذا العلم بالعمل ، فمما « روى عن الرسول من أحاديث ، تتصل بذلك (تعلموا ما شئتم أن تعلموا ، فلن يأجركم الله، حتى تعملوا) ، وقوله (إن العلماء همتهم الوعاية ، وإن السفهاء، همتهم الرواية) »(٢) .

ولم يكن غريباً ، أن يرى الإمام أبو حنيفة ، أن « العمل تبع للعلم ، كما أن الأعضاء تبع للبصر »(٣) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول (الاجزاء : ١ — ٤) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٥٦ .

(٢) الدكتور احمد حسن عبيد : « تعليم الكبـار ، عبر العصور » — علم تعليم الكبـار — الجـزء الأول — الجهاز العـربى ، لمحو الأمية وتعليم الكبار — ١٩٧٦ ، ص ١٢٨ .

(٣) الامام الأعظم ابو حنيفة ، رضى الله عنه : العالم والمتعلم — تحقيق محمد رواس قلعجى ، وعبد الوهاب الهنـدى النـدوى — رقم (٢) من (تراث الاسلام) — الطبعة الأولى — مكتبة الهـدى بحلب — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ٣٢ .

وبهذا استطاع الإسلام ، أن يحطم ذلك (الحاجز) ، الذى وضعته كثير من الحضارات ، السابقة عليه ، واللاحقة له ، بين (العقل) و (اليد) ، أو بين (القول) و (الفعل) ، من خلال (عقيدته) ذاتها ، حيث « يتلاقى فى طبيعة المؤمن القوية ، هـذان الخلقان ، اللذان يفترقان ، بين مثالى يخطىء طريق العمل ، وواقعى يرتاب فى إمكان المثل العليا ، وسداد الأريحية الأخلاقية ، فهما خلقان متفقان ، تمام الاتفاق ، فى ضمير المصلح ، المؤمن بوجود الكمال المطلق ، فى كل وقت ، وكل جهة ، وهو وجود الله »(١) .

ولقد كان لتحطيم هذا (الحاجز) ، أثره — منذ البداية — فيما حققه المسلمون ، من حضارة .

ذلك أن المسلمين ، ما أن انتهوا من تأمين حدودهم ، و « بسط جناح الإسلام ، حتى أخذ الخلفاء ، يلجون باب العلم ، كما ولجوا باب الفتوحات »(٢) ، ولم تمض سوى سنوات قليلة ، حتى كانوا « هم ورثة علم العصور القديمة »(٣) ، الذى وجدوه — بعد الفتح — « فى سوريا ومصر والعراق وإيران »(٤) ، على سبيل المثال .

ونتيجة لذلك ، « ظل الإسلام خمسة قرون ، من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠ ،

---

(١) عباس محمود العقاد : محمد عبده — الجمهورية العربية المتحدة وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م ، ص ٢٦٨ .

(٢) بطرس البستانى : كتاب دائرة المعارف — المجلد الحادى عشر — مطبعة الهلال بمصر — ١٩٠٠ ، ص ٢١١ .

(3) Our World in Space and Time, Colourama, A Pictorial Treasury of Knowledge ; Odhams Press Ltd., London, 1959, p. 38.

(٤) الدوميلى (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ .

يتزعم العالم كله، فى القوة والنظام وبسطة الملك ، وفى ارتفاع مستوى الحياة والأدب والبحث العلمى، والعلوم والطب والفلسفة »(١) .

والإسلام يعتبر هذا المسلك (الحضارى) ، القائم على العلم والعمل معاً .. هو الترجمة الحية لعقيدة (التوحيد)، التى لا يقوم الإسلام ، فى قلب مؤمن به ، بدونها .

ذلك أن عقيدة (التوحيد) ، تستدعى الاعتقاد — أيضاً — فى كل (تصور) إلهى، للكون والحياة وما بعد الحياة ، ومن ثم كان (الشك) فى اليوم الآخر — مجرد شك — مضادا للإيمان ، ومرادفاً للكفر .

ومن هذه التصورات الإلهية ، التى لا بد من التسليم بها ، نتيجة لهذا (التوحيد) ، وضع الإنسان على خريطة (الهرم الكونى) ، بوصفه (خليفة الله فى الأرض ، ومعنى هــذا (الاستخلاف) ، هو إلقاء (عبء) تعمير الأرض ، على هذا الإنسان ، وهو تعمير لا يمكن أن يتم ،بدون علم، من أجله كان تكريم الإنسان هذا ، وبدون عمل ، يترجم هذا العلم ، إلى واقع حى .

ولذلك كان « العلماء ورثة الأنبياء »(٢) ، وكانوا هم أولى أمر المسلمين ، فى بعض تفسيرات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا

---

(١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) صحيح البخارى ، لأبى عبد الله ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى — الجزء الاول — دار ومطابع الشعب ، ص ٢٦ .

الرسول ، وأولى الأمر منكم . . »(١) ، على أساس أن « العلماء والأمراء ولاة الأمر، الذى بعث الله به رسوله ، فإن العلماء ولاته حفظا وبيانا ، وذبا عنه ، ورداً على من ألحد فيه ، وزاغ عنه » ، «والأمراء ولاته ، قياماً وعناية وجهاداً ، وإلزاماً للناس به »(٢) .

ولذلك — أيضا — كان العمل — فى الإسلام — تشريفا للإنسان ، ولم يكن تحقيرا له، كما هو الحال ، فى الفكر الدينى المسيحى مثلا ،فالعمل « فى النظرة الدينية المسيحية ، تكفير عن الخطيئة . أما فى الدين الإسلامى ، فالعمل لا يقصد به عقاب ، وإنما هو تعمير للدنيا ، فالإنسان خليفة الله فى الأرض ، وبالعمل ، تعمر الأرض ، ويسعد الإنسان »(٣) .

ومن ثم كان العمل - فى الإسلام - تشريفا للإنسان ، ولم يكن عقابا له ، كما رأى فلاسفة المسيحية .

النشاط الاقتصادى بين الفرد والمجتمع :

فى معرض حديثنا عن (رأس المال) فيما سبق(٤) ، رأينا أن هناك نظرتين متناقضتين إلى رأس المال ، إحداهما هى (النظرة الرأسمالية) ، التى تقوم على ملكية الأفراد لرأس المال ، الذى حصلوا عليه ، نتيجة

---

(١) قرآن كريم : النساء — ٤ : ٥٩ .

(٢) الامام شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية : الرسالة التبوكية — الطبعة الثالثة — نشرها : قصى محب الدين الخطيب — مطبوعات المطبعة السلفية — ١٣٩٦ هـ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) صلاح العرب عبد الجواد : اتجاهات جديدة ، فى التربية الصناعية — الجزء الأول — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٣ ، ص ٦٩ .

(٤) ارجع الى ص ٧٢ وما بعدها من الكتاب .

لنشاطهم الاقتصادى،والثانية هى (النظرة الاشتراكية)، أو (الشيوعية) ، التى ترى ملكية الدولة — أو المجتمع — لرأس المال .

وعند الرأسماليين — كما رأينا هناك — أن الدولة أمر استدعته مصالح الأفراد (المتنافسين) ، ومن هنا قيمتها ، ومن ثم فلا سلطان لها على الأفراد ، إلا بقدر ما يسمح به هؤلاء الأفراد ، وهم عادة لا يسمحون .

وعند الاشتراكيين — أو الشيوعيين — أن الأفراد لا قيمة لهم ، إلا بقدر ما يقدمونه للدولة من خدمات ، هى فرض واجب عليهم ، وليست تطوعا منهم لها ، فهى التى تملك الأرض وما عليها ، ومن عليها ... أيضا .

ورأينا أن الإسلام ، يختلف عن هذين النظامين المتناقضين ، اللذين يسيطران — أيديولوجيا — على عالم اليوم ، فالمال فيه ليس مال الأفراد ، ولا هو مال الدولة ، وإنما هو مال الله ، استخلف الإنسان فيه ، فبدا مالكا له ، وجعل للدولة — كممثل للجماعة — حقا فيه أيضا .

ومن ثم (مزج) الإسلام ، بين حق الفرد فى المال ، وحق المجتمع فيه ، مزجا ، يستحيل فيه (التفريق) بين الحقين ، كما يستحيل فيه ، إيجاد (صراع) ، لا بد أن يقوم ، بين هذا وذاك ، حول : أيهما صاحب الحق ؟

ويرى الشهيد سيد قطب ، أنه «من الرق الرومانى الشهير ، إلى الإقطاع ، إلى الرأسمالية ، إلى الماركسية والنازية .. غلو فى طرف ، يعالجه غلو آخر ، فى الطرف الآخر .. وظلم لطبقة ، يعالجه ظلم آخر ، لطبقة أخرى .. واعتداء على (الإنسان) وخصائصه الأساسية فى نظام ، يعالجه اعتداء على (الإنسان) وخصائصه الأساسية فى النظام الآخر .. ولا يعتدل الميزان مرة واحدة بالعدل ، بين الطبقات كلها ، والتناسق بين طاقات الإنسان كلها ، وإتاحة

المجال (للفردية) ، التي يتميز بها كل فرد ، مع رعاية حق (الجماعة) ، الممثلة لخصائص الأفراد جميعاً ، فى تناسق واعتدال . . الأمر الذى لا يتوافر ، إلا فى منهج الله . . »[١] .

وبهذه (الوسطية) ، التى « يعتدل فيها الميزان بالعدل » ، على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، والتى يعالج الإسلام بها مشكلة رأس المال — يعالج مشكلة العمل ، أو مشكلة النشاط الاقتصادى ، بتعبير أصح .

فالعمل — كما سبق — هو أساس النشاط الاقتصادى فى الإسلام ، فالإسلام « يمنح العمل قداسة ، ترفعه ، وترفع العمال »[٢] ، كما أنه « فضله ، على الانقطاع للعبادة »[٣] .

والإسلام بقدر رفعه من شأن العمل ، يحط من قدر البطالة ، فهو يحارب « البطالة بكل روحه ، ويكافح أسبابها » ، « فيعالجها فى عالم الضمير والشعور ، وفى دنيا العمل والواقع » ، فهو « عدو التبطل ، الناشىء عن تكدس الثراء » ، و « عدو التبطل ، الناشىء عن الكسل وحب الدعة ، والاسترزاق من أيسر سبل الاستجداء » ، و « عدو التبطل ، باسم العبادة والتدين » .

« ولو كان لا أمر للإسلام ، لجند الجميع للعمل ، فإن لم يجدوه ، فالدولة حاضرة ، وحق العمل كحق الطعام ، فالعمل زكاة للأرواح والأجسام ، وعبادة من عبادات الإســـلام ، التى يجب أن تقيمها الدولة ، وتهيىء

---

(١) سيد قطب : الاسلام ومشكلات الحضارة — دار الشروق ، ص ٩٣ .

(٢) سيد قطب : السلام العـــالمى والاســلام (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) عبد الرحمن عزام (مرجع سابق) ، ص ٥٠ .

لها السبل »(١) .

و (وسطية) الإسلام هنا تبدو ، فى أنه لم يجنح نحو (الفرد) ، فى عملية النشاط الاقتصادى هذا ، كما فعلت الرأسمالية ، ولم يجنح نحو (الدولة) فى نفس العملية ، كردفعل للجنوح الرأسمالى، كما فعلت الاشتراكية (الشيوعية) — وإنما هو وقف (معتدلا) بين القطبين ، يعطى هذا ، بقدر ما يلقى عليه من مسئوليات وأعباء اقتصادية ، ويعطى ذاك ، بقـــدر ما يلقى عليه من مسئوليات وأعباء .

فالعمل هو الأساس ، الذى تقوم عليه نظرة الإسلام إلى (رأس المال) ، كما تقوم عليه نظرته إلى النشاط الاقتصادى ، على السواء ، على نحو ما سبق .

وهذا العمل ، (واجب) على الإنسان المسلم ، لا بد عليه أن يؤديه ، غنياً كان أو فقيراً ، طالما كان قادراً عليه ، فإن لم يكن قادراً عليه ، اتجه إلى غيره ، مما يقدر عليه ، وإلا أعفى منه ، مكتفياً بما يملك من المال ، إن كان غنياً ، أو (مستحقاً) للزكاة ، إن كان فقيراً .

ولمثل هذه الحالات وغيرها ، شرعت الزكاة ، كما سنرى .

ومن ثم فهذا العمل (حق) المجتمع على الإنسان المسلم ، بقدر ما هو (واجب) على الإنسان المسلم أن يؤديه .

وتقترب الاشتراكية (الشيوعية) من الإسلام ، فى ذلك ، ولكنه مجرد اقتراب ظاهرى ، شكلى ، إذ أن (الدافع) إلى (الحق) و (الواجب) فى الإسلام ، عكسه تماماً فى الاشتراكية ، التى لا نجد فيها (مجتمعاً) ، حتى نجد

---

(١) سيد قطب : معركة الاسلام والراسماليـــة (مرجع سابق) ، ٥١ ، ٥٢ .

له حقاً ، وإنما نجد — نيابة عنه — فئة ، استطاعت ان تصل إلى السلطة ، من خلال التآمر عادة » ، تتخذ سبيل « مصادرة كل الثروات ، ثم توزيعها بعد ذلك ، على القريبين من النظام ، وخدام المعبد وكهنته »[1] .

وما هى إلا سنوات محدودة ، حتى يثرى كل قريب من النظام ، وكل خادم للمعبد وكاهن ، على حساب العمال الكادحين بالفعل ، الذين يزداد عرقهم تصبباً ، بقدر ما يزداد بطن القريبين من النظام وخدمته وكهنته امتلاء . مما يؤدى إلى سخط (للعاملين)، يستدعى مزيداً من (الجواسيس)، على هؤلاء العاملين، أى مزيداً من (العاطلين) ، الذين يمثلون عبئاً على العاملين الجادين المهضومين ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن (الطبقات الاجتماعية) ، فى الفصل الثانى[2] .

أما فى الإسلام ، فإن الدافع إليهما، هو احترام (العمل) (كقيمة) ، فى حد ذاته ، بدونها، لا يكون المسلم مسلماً، كما سبق ، لأن (استخلافه) لا يتحقق ، بدونها .

ومن ثم كان الدافع إلى (إتقان العمل) فيه، رقابة (الضمير) ، التى تنبع من أعماق قلب الإنسان المسلم ، لا رقابة الشرطة والجواسيس والمتسلقين ، التى (تتسلط) على الإنسان من الخارج ، وتفرض عليه فرضاً ، من الطبقة الحاكمة، التى وصلت إلى السلطة، بالغش والخداع والتآمر .

وفى الوقت الذى نجد فيه العمل . (حق) المجتمع على الإنسان المسلم ، نجده حقاً للإنسان المسلم ، على مجتمعه .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى (مرجع سابق) ، ص ١١١ .

(٢) ارجع الى ص ٦٢ ، ٦٣ من الكتاب .

فقد (تتوفر) الأيدى العاملة فى المجتمع ، و (تضيق) فى الوقت ذاته، (فرص) العمل ، أمام هذه الأيدى .

وهنا، يكون الإنسان المسلم ، هو صاحب (الحق) ، ويكون (واجباً) على المجتمع أن يوفر لأبنائه ، فرص العمل تلك. ويكون توفير هذه الفرص، واجباً على الدولة الإسلامية ، بوصفها نائبة عن الشعب المسلم ، فى رعاية مصالحه ، ويكون على الدولة، أن توفر هذه الفرص ، إما من الميزانية العامة، أو بتوجيه حصيلة الزكاة هـذه ، تلك الوجهة ، التى تحقق هذه الغاية ، حتى يتحول المسلمون جميعاً ، إلى منتجين .

ونظرة إلى الآية القرآنية ، التى تحدد وجهة الزكاة هذه ، تؤكد ذلك بوضوح :

— « إنما الصدقات للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفى الرقاب، والغارمين، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله، والله عليم حكيم »(١) .

« فهذه الصدقات — أى الزكاة — تؤخذ من الأغنياء ، فريضة من الله، وترد على الفقراء ، فريضة من الله ، وهى محصورة فى طوائف من الناس ، يعنيهم القرآن ، وليست متروكة لاختيار أحد ، حتى ولا اختيار الرسول » .

« وبذلك تأخذ الزكاة مكانها، فى شريعة الله، ومكانها فى النظام الإسلامى». « إنها إحدى فرائض الإسلام ، تجمعها الدولة المسلمة ، بنظام معين ، لتؤدى بها خدمة اجتماعية محددة . وهى ليست إحساناً من المعطى، وليست شحاذة من الآخذ .. كلا ، فما قام النظام الاجتماعى فى الإسلام، على التسول، ولن يقوم.

إن قوام الحياة فى النظام الإسلامى ، هو العمل - بكل صنوفه وألوانه -

(١) قرآن كريم : التوبة — ٩ : ٦٠ .

وعلى الدولة المسلمة ، أن توفر العمل، لكل قادر عليه ، وأن تمكنه منه ، بالإعداد له ، وبتوفير وسائله ، وبضمان الجزاء الأوفى عليه ، وليس للقادرين على العمل، من حق فى الزكاة »(١) .

ويرى الشهيد سيد قطب، أن « (الغارمين) ، وهم المدينون فى غير معصية، يعطون من الزكاة ، ليوفوا ديونهم ، بدلا من إعلان إفلاسهم ، كما تصنع الحضارة المادية، بالمدنيين من التجار ، مهما تكن الأسباب . فالإسلام نظام تكافلى ، لا يسقط فيه الشريف ، ولا يضيع فيه الأمين ، ولا يأكل الناس بعضهم بعضاً، فى صورة قوانين نظامية ، كما يقع فى شرائع الأرض ، أو شرائع الغاب .

وفى سبيل الله » . . « وذلك باب واسع ، يشمل كل مصلحة للجماعة ، تحقق كلمة الله »(٢) .

ومن هذه المصلحة — ولا شك — إقامة الصناعات ، وفتح مجالات العمل ، للقادرين عليه ، وليس مجرد مد يد العون للمحتاجين . . كما نرى فى موقف الرسول المشهور ، ممن جاء يطلب منه صدقة ، فأقرضه ، ووجهه للعمل .. بدلا من مد اليد، القادرة على العمل ، بالسؤال .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٦٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٧٠ .

الفصل الرابع

دينامية النشاط السياسى

تقـــديم :

يفرق الدكتور حسن كيرة ، بين مذهبين سياسيين أساسيين ، يحكمان الحياة فى عالمنا المعاصر ، وهما المذهب الفردى ، والمذهب الاجتماعى . وهو يرى، أن «المذهب الفردى » ، « يقوم » « على أساس أن الفرد ، هو هدف القانون الأسمى ، فما يوجد القانون إلا لحماية حقوق الأفراد ، وتمكينهم من التمتع بها .

ذلك أن الفرد ليس موجوداً لخدمة الجماعة ، بل الجماعة هى الموجودة لخدمة الفرد . فالفرد ليس جزءاً من كل ، بل هو مستقل ، قائم بذاته »(١) .

وقد انتهى هذا المذهب الفردى – فى نظره – « إلى الإضرار بالصالح العام، للجماعة »(٢) .

أما المذهب الاجتماعى ، فإنه على النقيض من ذلك ، يبدأ من الجماعة ، « فالجماعة إذن – لا الفرد – هى الهدف الأسمى من الوجود ، لأنها غاية فى ذاتها ، وليست أداة ووسيلة ، لغيرها من الغايات ، ولذلك كانت هى القيمة العليا ، التى ينبغى حمايتها ، والتمكين لصالحها وخيرها »(٣) .

---

(١) الدكتور حسن كيرة : أصول القانون – من (المكتبة القانونية)– الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر – ١٩٥٨ ، ص ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

ولكل مذهب من المذهبين المتناقضين ، (ظروفه) التى نشأ فيها ، وتحددت ملامحه فى ضوئها ، وقد أشرنا إلى هذه الظروف ، والبصمة التى تركتها ، على كل من النظامين ، فى كتابنا الأول من كتب السلسلة ، خاصة الفصل الرابع منه ، الذى خصصناه للحديث عن (إفلاس الأيديولوجيات المعاصرة) . وفى هذا الفصل ، الرابع من الكتاب الأول ، تحدثنا عن (رجعية) النظامين ، أو الأيديولوجيين ، المعاصرتين ، إذا هما قورنتا بالإسلام (١) .

وفى كتابنا السابع من كتب السلسلة (قضية الحرية وقضايا أخرى) ، ناقشنا — بالتفصيل — ما أجملناه فى هذا الفصل الرابع من الكتاب الأول ، فقد كان هذا الكتاب السابع كله ، مخصصاً لمناقشة كل القضايا ، بدءاً من (قضية الحرية) — التى عنون الكتاب بها — ومروراً بقضايا (المساواة) و(الإخاء) و (الاشتراكية) و(الديموقراطية) و(العدالة) وغيرها ، لنبين مدى (الزيف) ، الذى تقوم عليه الحياة ، فى ظل نظم . . . بعيدة عن الإسلام ، بل وتعلن الحرب عليه .

وفى الفصل السابق ، استعرضنا هذا (الزيف) ، فى مجال الاقتصاد ، وتتم المسيرة مع هذا الزيف ، فى مجال السياسة ، بادئين بتعريف السياسة ، حتى نكون على بينة من أمرنا ، منذ البداية .

معنى السياسة :

و(السياسة) فى اللغة العربية ، أحد مصدرين للفعل (ساس) (يسوس) — أما المصدر الثانى ، فهو (سوس) . يقال : ساس سوسا ، وساس سياسة .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٦ ، ص ٨٩ — ١١١ .

والفعل (ساس سوسا) ، فعل لازم ، لا يحتاج إلى مفعول به ، حيث يقال (ساس الطعام) «(سوسا) ، بوزن قول ، إذا وقع فيه السوس » [١] .

كما يقال « ساس الحب والخشب سوسا : وقع فيه السوس » ، وساست « الشاة : صار القمل فى صوفها »[٢] .

وحين يتعدى الفعل (ساس) ، فيحتاج إلى مفعول به ، فإن مصدره يكون(سياسة) ، ومنه « (ساس) الرعية، يسوسها،(سياسة) »[٣] ، وساس « الناس — سياسة : تولى رياستهم وقيادتهم . وساس الدواب : راضها وأدبها . وساس الأمور : دبرها وقام بإصلاحها »[٤] .

ولا أدرى ما إذا كانت مصادفة فى معاجم اللغة ، أن تكون سياسة الناس، كسياسة الدواب ، وسياسة الأمور ، وأن يكون أصل السياسة ، هو الفعل (ساس)، الذى يعد أصلا — أيضاً — للمصدر (سوس) ، والذى يقال بالنسبة للخشب ، إذا عاث فيه السوس ، وحطمه . . أم أنها مجرد صدفة ، فالإجابة الصحيحة لدى علماء اللغة ، وليست لدى المشتغلين بالسياسة ، وإن كان المشتغلون بالسياسة، يربطون بين السياسة ، وبين اللاأخلاق ، كما أن المكتوين بالسياسة — كالإمام محمد عبده — يلعنون السياسة ، مصدراً ، وفعلا ماضيا ومضارعاً ، وفاعلا ومفعولا به وفيه .

---

(١) مختار الصحاح ، للشيخ الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر — ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م ، ص ٣٤٢ .

(٢) المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ، ص ٤٦٤ .

(٣) مختار الصحاح (المرجع الأسبق) ، ص ٣٤٢ .

(٤) المعجم الوسيط — الجزء الأول (المرجع الأسبق) ، ص ٤٦٤ .

ولذلك يخصص العلامة العربى ، عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ — ١٤٠٥م) فصلا كاملا، من الباب السادس ، من مقدمته المشهورة، للحديث عن « أن العلماء من بين البشر ، أبعد عن السياسة ومذاهبها »[١] .

وذلك أن السياسة ترتبط بالحكم ، ومعظم الحكم - فى القديم والحديث - فردى ، يقوم على التسلط ، وإن بدا للعين ديموقراطياً ، على نحو ماسنرى، بعد أن سادتها الميكيافيلية ، منذ القرن السادس عشر ، وصارت الغاية ، تبرر الوسيلة، فيها ، وصار مألوفاً ، أن يغدر الأخ بأخيه ، ويغدر الصديق بصديقه ، من أجل غاية ، قد لا تكون أبعد ، من احتلال الكرسى — كرسى (العرش) — بطبيعة الحال .

وصار مألوفاً ، ذلك المثل الشائع ، الذى يقول : (إذا دخلت السياسة من الباب ، خرجت الأخلاق من الشباك) .

ويرى المرحوم أحمد أمين ، أن الفلاسفة قد أرادوا ، « منذ عهد أفلاطون وأرسطو، أن يخضعوا السياسة لمنطق العقل ، فوضع أفلاطون جمهوريته ، وأرسطو كتابه فى السياسة ، والفارابى مدينته الفاضلة » ، « والسياسة دائماً تتمرد عليهم ، وتأبى إلا أن تخضع لمنطق الدنيا » .

« وربما كان (مكيافلى) ، هو الشخص الذى فهم منطق الدنيا ، بعد أن جرب الحياة الواقعية ، وسفر لأمته ، عند الملوك والأمراء ، فنادى بأن السياسة ، لا تتبع العقل والعدل والخلق ، وإنما هى ترعى طبائع الناس ، وظروف الزمان والمكان ، وقال: إن السياسة يجب أن تعرف الخير والشر، ولا بأس من أن تنحرف عن الخير ، تبعاً لضرورة الظروف القائمة » .

---

(١) العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقـــدمة ، من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر — المطبعة الشرفيــة — ١٣٢٧ هـ ، ص ٤٥٢ (من الفصل الرابع والثلاثين ، من الباب السادس ، من الكتاب الأول) .

« وقال : (إن الأمير يجب أن يكون أسداً ، ولكن ينبغى له ان يتعلم كيف يلعب دور الثعلب) »(١) .

ولم تكن اللا أخلاقية، التى فلسفها ميكيافيللى للسياسة ، لتقف عند حد السياسة الخارجية ، وإنما كانت تشمل السياسة الداخلية للبلاد ، شمولها لسياستها الخارجية ، فالقانون عنده ، « يجب أن يكون ، لا ما تمليه العدالة أو الدين بالضرورة ، ولكن ما هو أكثر نفعاً للدولة »(٢) .

ويبدو أن السياسة ترتبط باللا أخلاق ، منذ أقدم العصور ، بدليل محاولات فلاسفة الإغريق ، وضع حد لهذا الارتباط ،كما رأينا فى محاولات أفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٨ ق.م) ، وأرسطو (٣٨٤ — ٣٢١ ق.م) ، من قبل، وبدليل ارتباط هذه السياسة ، فى الضمير العربى ، كما رأيناها فى معاجم اللغة العربية ، التى اشتقت من الصحراء بالدرجة الأولى ، بنخر السوس فى الخشب ، وإفساده وإتلافه .

ويبدو أن الكلمة ، لا تختلف كثيراً فى (الضمير) الغربى ، كما نراه فى معاجم اللغة الإنجليزية مثلا ، عنها فى الضمير الشرقى ، فإن كلمة Politic فى بعض المعاجم ، تعنى « السياسى ، الفاره السياسى ، المدرب ، المتمرس ، الداهية ، الباقعة ، ذو الدهاء »(٣) — وكذلك تعنى كلمة

---

(١) أحمد أمين : « منطق العقل ، ومنطق الدنيا » — **فيض الخاطر** — الجزء السادس — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥ م ص ٨٢ ، ٨٣ .

(2) BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe; Methuen & Co., Ltd., London, 1923, p. 20.

(3) AL - NAHDA DICTIONARY, English - Arabic, Compiled by : Ismail Mazhar, Vol. II; First Edition, The Renaissance Bookshop, Cairo, p. 1635.

Politician فى بعضها الآخر ، محترف السياسة(١) ، القادر على رياضة الدواب ، أو إدارة العمل ، أو تدبير الناس(٢) .

وقد تكون للسياسة Politic فى اللغة الإنجليزية مثلا ، صلة بالأدب أو الذوق أو الخلق Polite ، ولكنها حين تكون كذلك ، فإنها تكون من باب الانتهازية والكياسة ، وصولا إلى الهدف ، كما هى الحياة فى الغرب منذ القديم ، عكس ما نراه من وضوح وصراحة عند العرب من قديم ، فى وصولهم إلى هذا الهدف .

وعلى أية حال ، فإن السياسة تعنى ، أن يتولى (فرد) ، أمور قوم ، وأن ينوب عنهم فى إدارة مرافق البلاد ، وفى التعامل مع العالم الخارجى .

وعلى ذلك ، فليست السياسة أمراً عويصاً ، يستعصى فهمه ، وإنما هى أمر بسيط ، يتصل (بكل شىء) فى داخل البلاد ، أو على حد تعبير الدكتور محمود فوزى ، رئيس وزراء مصر الأسبق ، وأول وزير خارجية مصرى ، بعد ثورة ١٩٥٢ ، ومندوب مصر فى الأمم المتحدة قبل ذلك : إن هناك «صلة وثيقة متشعبة ، فى كل نواحى وجودنا القومى ، بين وزارة الخارجية ، وغيرها من الوزارات» ، و «إن القوة الذاتية للدولة ، هى مصدر قوتها فى المحيط العالمى ، والأساس الذى لا مضاء ولا حياة بدونه ، لسياستها الخارجية»(٣) .

---

(1) The Concise Oxford Dictionary, of Current English; Op. Cit., p. 922.

(٢) الياس انطون الياس ، وادوار أ. الياس : القاموس العصرى (مرجع سابق) ، ص ٣٢٤ .

(٣) بيانات الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء ، فى مجلس الامة سنة ١٩٥٧ — المجلد الأول — المطبعة الأميرية بالقاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٨٥ (من بيان السيد وزير الخارجية) .

وعلى ذلك، لا تقتصر السياسة، على ما يسمى (بالدبلوماسية)، وإنما هى تتسع، لتشمل (كل شىء)، فى داخل البلاد، وكل علاقات البلاد، بالعالم الخارجى.

فالفلاح، وهو يضرب بفأسه الأرض، ليخرج من الأرض مكنون خيراتها، ليأكل، ويطعم غيره — والعامل وهو يعرق أمام آلته، ويسهر عليها سهر الأم على وليدها، والمدرس — وهو يشغل نفسه بأبناء غيره — والتلميذ، وهو ينكب على دراسته وتحصيله .. كل واحد من هؤلاء، إنما يمارس السياسة.

وعلى قدر تنوع مجالات العمل، فى داخل البلاد، يكون الثراء، وتكون إمكانية التقدم، وتكون قدرة السياسة الخارجية، على الاتصال بالعالم الخارجى، بسهولة ويسر.. وعلى قدر ضيق هذه المجالات.. يكون الفقر والتخلف، ويكون عجز السياسة الخارجية، فى التعامل مع العالم الخارجى، إلا من منطق ضعف، وتبعية، وذلة وانكسار.

وعلى قدر (إتقان) كل (عامل) لعمله، و(إخلاصه) فى تأديته، يكون البناء فى جسد الأمة، وتكون قدرة السياسة الخارجية، على التعامل مع العالم الخارجى، بسهولة ويسر.. وعلى قدر عدم الإتقان، وعدم الإخلاص، يكون العجز.

ومن هنا كان القول، بأن وراء الجيش العظيم، (جبهة داخلية) أعظم.. وبأن وراء الجيش المنهزم، (جبهة داخلية)، أكثر انهزاماً.

وبعبارة أخرى: إن انتصار الجيش - أو انكساره - فى جبهة القتال، إنما هو (تجسيد) حى، لانتصار الأمة - أو انكسارها - فى (معركة الحياة)، وإن نجاح الأمة فى التعامل مع الأمم الأخرى - من خلال السياسة الخارجية -

أو فشلها فى هـذا التعامل — إنما هو (ترجمة) حية، لنجاحها أو فشلها ، فى معركة الحياة تلك .

وقد ينكسر الجيش، ويكون انكساره أبدياً، إذا كانت عوامل (التحلل)، قد تسربت إلى النظام الاجتماعى ، أو الأمة . . كما رأينا فى انكسار جيش الفرس والروم ، فى عصر صدر الإسلام . . وكانكسار الإغريق أمام الرومان قبل ذلك . . وقد يكون هـذا الانكسار ، مجرد أمر (عارض) ، إذا كان النظام الاجتماعى قوياً . . كما نرى اليوم فى اليابان ، رغم ما أصابها فى الحرب العالمية الثانية ، على وجه الخصوص ، وكما رأينا — ونرى — فى بلاد الإسلام اليوم ، رغم ما يبـدو لقصار النظر ، من نقيض ذلك ، فلقد « كان مقدراً لهـذا العالم الإسلامى أن يموت » ، ولـكن « الذى احتفظ لهذه الشعوب بحيويتها الكامنة ، بعـد قرون طويلة من النوم والاسترخاء ، ومن الضعف والخمود ، ومن الضغط والقسر ، ومن الاحتلال البغيض ، الذى بذل جهـده ، لتقطيع أوصالها ، وإخماد أنفاسها » ، هو « عقيـدتها القوية العميقة »(١) ، التى تقوم على (استقلال) المسلم « بعبادته ، عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن »(٢) ، كما تقوم على شمول الدنيا والآخرة ، شمولا « كان له الفضل، فى صمود الأمم الإسلامية ، لسطوة الاستعمار »(٣) .

وبفضل استقلال المسلم، وشمول دينه ، « ظل التصور الإسلامى للحكم،

---

(١) سيد قطب : فى التاريخ ... فكرة ومنهاج — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٧ ، ٨ .

(٢) عباس محمود العقاد : الاسلام فى القرن العشرين ، حاضره ومستقبله — الطبعة الثانية — دار الكتاب العربى — بيروت — فبراير — ١٩٦٩ ، ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

قائماً فى ضمير الأمة » ، رغم أن الخلافة « تحولت إلى ملك عضوض ، ولم تستمر ، على نهجها الإسلامى الصحيح »(١) .

انمــاط من السياسة :

وهكذا يتوقف صلاح السياسة وفسادها ، على قدرتها على استثارة (مكامن) القوة فى الأمة ، أو عجزها عن هذه الاستثارة .

ولهذه (الاستثارة) مسالك متعددة ، منها ما هو سريع الثمار ، ولكن عمرها يكون قصيراً . . ومنها هو ما بطىء الثمار ، ولكن عمرها يكون طويلا ، ومنها .. ومنها ..

— **واسرع الطرق** على الإطلاق ، لاستثارة مكامن القوة فى الأمة ، هو إشعال نار القومية فى ضلوعها .

وهذا هو ما فعله نابليون بونابرت (١٧٦٩ — ١٨٢١) فى فرنسا ، على سبيل المثال ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، عندما وجد أن (الثورة الفرنسية) ، قد أطلقت مكنون طاقة الشعب الفرنسى ، وأن (المرجل) الذى كان يغلى فى القلوب قبلها ، قد انفجر ، حتى دمر كل شىء فى فرنسا ، فعمد إلى توجيه هـذه الطاقة المتفجرة ، والتى كانت حبيسة ، إلى خارج الحدود ، لتجديد شباب أوربا ، على حد تعبيره ، يسيطرة فرنسا عليها(٢) ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن (المسألة الوطنية أو القومية) ، فى الفصل الثانى(٣) .

---

(١) محمد شـديد : قيم الحيـاة ، فى القرآن الكريم — مطبوعات دار الشعب — ١٣٩٣ — ١٩٧٣ ، ص ١٣٢ .

(2) COUPLAND, R. (Selected hy); Op. Cit., p. XI, from the Introduction.

(٣) ارجع الى ص ٤٨ من الكتاب .

وهناك أيضاً ، رأينا نفس الشيء يحدث ، فى ألمانيا ، فى القرن الثامن عشر(١) .

ثم عاد وحدث فى ألمانيا مرة ثانية ، بين الحربين العالميتين ، الأولى والثانية . على يد أدولف هتلر (١٨٨٩ — ١٩٤٥) ، وفى إيطاليا ، على يد بنيتو موسولينى (١٨٨٣ - ١٩٤٥) ، وفى اليابان ، فى فترة من فترات حكمها العسكرى .

ثم إنه هو الذى لايزال يحدث حتى الآن ، فى المعسكر الشيوعى ، رغم ما يشاع عن وحدة البروليتاريا (الطبقة العاملة) فى العالم ، على نحو ما رأينا فى كتابنا السابع من السلسلة ، عند حديثنا عن (قضية المساواة) ، المزعومة هناك(٢) .

ثم إنه حدث - ولا يزال يحدث - فى معظم بلاد العالم الثالث ، ومنه بلادنا العربية والإسلامية ، فقد(ابتليت) هذه البلاد ، بالحكام العسكريين ، الذين قفزوا إلى السلطة ، فى غفلة من الناس ، وفرضوا أنفسهم على البلاد ، وراح كل منهم يتصور نفسه نابليون ، أو هتلر ، أو موسولينى ، دون أن يتعظ بما أصاب كل واحد من هؤلاء العسكريين ، حتى لا يكون مصيره كمصيرهم .. أو أسوأ .

ولعلنا لا زلنا نذكر (نعرة القومية العربية) ، التى أشعلها جمال عبد الناصر (١٩١٨ — ١٩٧٠) فى جسد الأمة العربية ، وخاض بها (ملتهبة) ،

---

(١) ارجع الى ص ٤٨ ، ٤٩ من الكتاب .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى (مرجع سابق) ، ص ٨٧ — ٩١ .

معارك مريرة، فى كل مكان من الوطن العربى ، لخلق (امبراطورية) عربية، تكون قيادتها بين يديه — فى مصر — « باعتبارها مركز وحدة عربية ، أو اتحاد فدرالى عربى»(١) ، فمصر وحدها «بحكم المكان» ، على حد تعبيره ، هى القادرة على القيام بهذا « الدور التائه ، الذى يبحث عن بطل يقوم به» (٢) .

ونذكر أن مصر، لم تجن من وراء ذلك كله، إلا ألما ومرارة وحسرة ، لا زال المصريون يحسونها حتى اليوم . . فى مختلف مجالات الحياة ، بعد سنوات طويلة من رحيل عبد الناصر ، غير مأسوف عليه من أحد ، حتى من أولئك الذين كانوا قريبين منه ، بعد أن جعل منهم (مسخاً) مشوها ، لبنى آدم ، وتركهم أشباه رجال ، وأشباه آدميين .

ولكن هذا الطريق ، من طرق استثارة مكامن القوة فى الأمة ، نتائجه (سريعة) على المدى القريب ، ولكنها (وخيمة) ، على المدى البعيد .

لقد استطاع نابليون — به — أن يشد أعصاب العالم كله ، وعلى وجه الخصوص ، جيران فرنسا . . وعلى رأسهم الإنجليز والألمان ، فترة طويلة ، فى مطلع القرن التاسع عشر . . كما استطاع هتلر وموسولينى نفس الشيء . .

---

(١) تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٢ (صورة الذات ، وتطلعات شعوب العالم) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخرين — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة — وزارة الارشاد القومى — الهيئة العامة للاستعلامات ، ص ١١٤ .

طوال الربع الثانى من القرن العشرين تقريباً . . واستطاع ذلك أيضاً جمال عبد الناصر . . مع مطالع النصف الثانى من القرن العشرين . . ولكن النهاية كانت — فى كل الحالات — أليمة ، كما تشهد بذلك ، أحداث التاريخ .

فبرلين هتلر ، لا تزال مقسمة ومحتلة . . ومصر عبد الناصر ، بعد قرابة عشر سنوات من موته . . شىء يمزق القلب ، من مختلف النواحى .

— وعلى النقيض من هذا الطريق ، السريع الثمرة ، الوخيم العاقبة . . الطريق البطىء الثمرة ، الراسخ الدعائم ، الطويل النفس والعمر . . أو طريق التربية ، التى تنمى فى النفوس مكامن القوة ، منذ نعومة الأظفار ، من خلال برامج التعليم المدرسى ، بالنسبة للصغار ، ومن خلال الإذاعة والصحافة والتليفزيون ، بالنسبة للكبار ، ومن خلال حركة الحياة فى المجتمع ، بالنسبة للكبار والصغار على السواء .

وبهذا الطريق المتشعب ، بنيت الولايات المتحدة ، مع أن مقومات (الأمة) ، غير موجودة فيها على الإطلاق . . وبه استطاع ماوتسى تونج ، أن يحول الفقر والعدم والفاقة والجهل والمرض فى الصين . . إلى عوامل بناء ، ومكامن قوة .

ولقد كان هذا الطريق المتشعب . . . هو الطريق الذى سار فيه الإسلام ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فغير به ، لا خريطة الجزيرة العربية وحدها ، حيث شع نوره ، ولكن خريطة العالم كله . . وحركة تاريخه أيضا ، بلا رأسمالية أمريكا ، ولا اشتراكية الصين .

— وقد تميز الطريق الاسلامى ، بالإضافة إلى طول النفس ، ورسوخ الدعائم ، ميزة أخرى ، لا يمكن أن تتوفر للطريقين ، الرأسمالى والاشتراكى ، هى ميزة تعبيره عن الفطرة ، التى فطر الله الناس عليها ، ومن ثم خلوده فى

أعمق أعماق الضمير . . الفردى والاجتماعى ، فيكون بمنأى عن القلاقل والهزات ، التى (يمكن) أن يتعرض لها الإنسان — والمجتمع - نتيجة ذلك الجنوح نحو الفرد ، أو الانحراف مع المجموع(١) .

إنه الطريق الوحيد ، الذى (يجمع) بين الفرد والجماعة ، فى إطار واحد ، ففيه « كل فرد ، مكلف أن يرعى مصالح الجماعة ، كأنه حارس لها »(٢) ، « وهكذا يصبح كل شخص ، فرداً بالنسبة لنفسه ، مطالبا بحقوقه المشروعة ، ومجتمعا ، أو ممثلا للمجتمع ، بالنسبة للآخرين ، يسعى لدفع الضر عنهم ، كما يدفعه عن نفسه ، ويعاونهم على نيل حقوقهم ، كما ينالها لنفسه »(٣) .

وهو الطريق الوحيد كذلك ، الذى يستطيع أن يجمع بين النقيضين ، لأنه يربطهما معا ، بإطار لا ينفصم ، هو إطار العقيدة .

وفى هذا الإطار ، نجد للفرد — حتى ولو كان غير مسلم — قيمة فى حد ذاته ، له حقوقه ، التى لا يمكن أن تمس ، إلا بجرم ارتكب . . كما نجد للمجتمع قيمته فى نفس كل فرد ، وهى لا يمكن أن تمس ، ونجد (الصالح العام) ، يتحقق من خلال القيمتين ، كما يتحقق العدل ، ويتنسم الجميع أنفاس الحرية ، بمعناها الحقيقى .

---

(١) للتفصيل ، ارجع الى الفصل الرابع ، من الكتاب الأول من كتب هـذه السلسلة :

— دكتـور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيـات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٨٩ — ١١١ .

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ ، ص ٦٦ .

(٣) محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام — الطبعة الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٣٥ .

وهل هناك (مكامن) قوة ، يمكن أن تستثار ، خير من إحساس الفرد بحريته ، وإحساسه ـ من خلالها ـ بمسئوليته ، نحو نفسه ، ونحو ربه ، ونحو مجتمعه ؟

ديناميات النشاط السياسي :

وهكذا نرى أن هناك (ديناميات) مختلفة للنشاط السياسي ، تختلف كل منها عن غيرها ، من مجتمع إلى آخر ، بحسب (الفلسفة) السائدة فى كل مجتمع ، وضغوط الحياة عليه ، وتاريخه الطويل ، وغيرها .

فالفردية ، و (التحرر) من قيود الأسرة ، ومن قيود الدولة ، تعتبر سمة الحياة فى الغرب ، على سبيل المثال ، بينما نرى النقيض تماما يحدث فى الجنوب الشرقى من آسيا ، وعلى وجه الخصوص فى اليابان ، « فاليابانى يفضل أن يعمل ، كجزء من جماعة ، على أن يعمل كفرد ، وهو يحس بشعور الإخلاص والولاء للجماعة ، ويميل إلى مراعاة مقاييسها ومعاييرها ، بدقة كبيرة . والأسرة فى اليابان عظيمة الأهمية ، ونموذج تكوينها ، ينعكس فى الغالب ، على الجماعات الأخرى . ومن أهم الروادع الاجتماعية عنده ، الخوف من ارتكاب ما يجلب العار ، على الأسرة »(١) .

وقد اخترت اليابان بالذات ، دون غيرها من بلاد جنوب شرقى آسيا ، لأنها كانت أكثر هذه البلاد تأثرا بهذه الحضارة الغربية ، حيث اتخذت ـ فى مواجهة الضغوط الخارجية عليها ، مع مطلع القرن التاسع عشر ـ أسلوب

---

(١) آرثرتيد مان : اليابان الحديثة ـ ترجمة وديع سعيد ـ مراجعة على رفاعة الأنصارى ـ رقم (٢٢٢) من (الألف كتاب) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١ .

« تبنى الحضارة الغربية اختيارا »[١]، فكانت «سرعة إدخال الثقافة الغربية، خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر »[٢] - ولكن اليابانيين كانوا حذرين دوما، فلم يأخذوا من الغرب إلا علومه وتكنولوجيته فقط ، حيث أن « الفكر والأسلوب الغربيين ، لم يحلا تماما ، محل القيم والاتجاهات الثقافية اليابانية التقليدية ، فالحياة الخاصة : البيت والحديقة ، وأسلوب العيش فيهما - بنيان الأسرة، والعلاقات الشخصية - ظلت يابانية ، كما جرى بها العرف » .

« وبعبارة موجزة ، كان الصبغ بالطابع الغربى ، يعنى إدخال المعرفة والطرق الغربية ، فى البنيان القائم ، والقيم الأساسية ، للمجتمع اليابانى . وغالبا ما يجرى التعبير ، عن المثل الأعلى ، بأنه (الروح اليابانية ، والمواهب الغربية »[٣] .

ولقد كانت اليابان - بأسلوبها هذا الذى اختارته - أسرع بلاد جنوب شرق آسيا ، خطوا فى طريق الحضارة الغربية ، وذلك لأنها حافظت على مقومات ثقافتها ، وعلى تراثها الدينى بوجه خاص، بينما تخلفت بلاد أخرى - كمصر - سبقت اليابان، على طريق الاتصال بحضارة الغرب ، لأنها أخذت الحضارة الغربية قلبا وقالبا ، ففسد القالب ، بفساد القلب .

ويمكن أن نرى ديناميات كثيرة للنشاط السياسى ، منها الديناميتان

---

(١) ماكوتو آسو ، وايكوو آماتو : التعليم ، ودخول اليابان العصر الحديث - سفارة اليابان ، بجمهورية مصر العربية - ١٩٧٦ ، ص ٢٠ .

(2) KEENLEYSIDE, HUGH LI. and THOMAS, A. F.: History of Japanese Education, and Present Educational Systems; The Hokuseido Press, 1937, p. 66.

(٣) تاريخ البشرية - المجلد السادس (القرن العشرون) - التطور العلمى والثقافى - الجزء الثانى - ٢ (صورة الذات وتطلعات شعوب العالم) (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

الأساسيتان ، اللتان قدمنـــا بهما لهذا الفصل ، فى رأى الدكتور حسن كيرة(١)،وهما المذهب الفردى-أو الدينامية الفردية-والمذهب الاجتماعى — أو الدينامية الاجتماعية .

وبين هاتين الديناميتين ، يمكن أن نرى ديناميات أخرى عديدة ، إما متشكلة من عناصرهما معا ، على أنحاء كثيرة ، وإما بعيدة عنهما ، قريبة كل منهما ، من روح الأمة ، التى وجدت فيها ، على نحو ما رأينا فى الدينامية اليابانية، فيما سبق .

وفى الدينامية الفردية ، نرى (الفرد)،هو الذى يشكل السياسة ،الخاصة به ، دون ما تدخل من أحد فى شئونه ، فهو يمـــارس من ألوان النشاط، السياسى والاقتصادى والدينى والاجتماعى وغيرها ، ما يشاء ، حتى أن « الإنسان ليس حرا فى اختيار طريقته الخاصة فحسب، بل إن السياسة العامة ذاتها ، ليست إلا نتيجة،لذلك الاختيارات،التى اختارها الأفراد ، كأعضاء فى الجماعة »(٢) .

وفى ظل هذه الدينامية، تكون فرص التفوق والامتياز متاحة،ويكون (البقاء للأصلح) حقيقة ، فلا مكان فيها لخامل أو خامد ، لأن الخـــامل والخامد ، تدوسهما الأقدام ، وفيها يكون المجال مفتوحا أمام الجميع ،كل حسب إمكانياته وقدراته . . . .

ولكنها تؤدى - رغم ذلك - إلى (قلق) قاتل ، يدفع بالكثيرين من

---

(١) ارجع الى ص ٩٢ من الكتاب .

(2) CHASE, FRANCIS S. : Education Faces New Demands, HORACE MANN Lecture, 1956; University of Pittsburgh Press, 1956, p. 13.

الموهوبين ، الذين لا يجـــدون الفرصة أمامهم سانحة ، إلى الانحراف والشذوذ ، بحثا عن الفرصة ، التى فشلوا فى الوصول إليها ، من طريق غير طريق الانحراف .

ومن ثم تحولت المجتمعات الغربية ، التى تقوم الحياة فيها على هذه الدينامية، إلى (مجتمعات عصابات) ، على نحو ما رأينا ، فى كتابنا السابع من كتب هذه السلسلة(١) .

وهكذا ، باسم (الفردية) ، تنتفى (الفردية) ، اختياريا أو إلزاميا ، فى هذه المجتمعات ، التى تقدس تلك (الفردية) ، إذ يحس كل إنسان ، بأنه لابد أن (ينتمى) إلى مجموعة ، يبدد - من خلالها - مخاوفه ، ويحس بشىء من (الأمن) ، الذى يفتقده، بسبب انتشار الجريمة ، على هذا النحو المخيف من حوله ، وبسبب تربص قوى كثيرة به ، لا يعلم عنهـا شيئا ، لأسباب كثيرة ، لا يعلمها أيضا .

وما (النقابات) و (الجمعيات) و (الأحزاب) و (الهيئات) وغيرها، إلا صور لهذا التجمع، الذى صار الإنسان يحس بضرورته له .. لتبديد هذه المخاوف .

ولم يكن غريبا ، أن (تنبت) الدينامية المضادة - الاجتماعية - فى أحضان هذه الدينامية الفردية ، وأن الفلاسفة المثاليين، الذين دعوا إلى هذه الدينامية الجديدة ، وفلسفوها ، قبل أن يتلقفها كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) وفردريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥) ، ويبرزاها فى ثوبهـا الجديد ، الذى

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا اخرى (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

ظهرت به، تحت اسم الماركسية ـ من أمثال كانت وفيخت وشيلنج وهيجل، قد « دعوا إلى عهد جديد ، وتحمسوا لتنظيم الدولة والمجتمع ، على أساس عقلي ، من أجل حماية حريات الفرد ومصالحه »(١) ـ قبل أن ينجرف ماركس وإنجلز بهذا الهدف .. إلى بعيد ، على نحو ما سنرى .

وتقوم هذه الدينامية المضادة ـ الاجتماعية ـ على أساس إلغاء الوجود الفردي تماما ، و (صب) الجميع، في (بوتقة) الدولة .. التي وصفها هيجل ـ أستاذ ماركس ، وأكبر الفلاسفة الألمان تأثيرا فيه ـ بأنها ، « إله يمشي في الأرض »(٢).

وباسم هذا (الإله)، قدمت ملايين (القرابين) في الاتحاد السوفيتي ، عند ترجمة أفكار كارل ماركس، إلى واقع حي، على يد لينين (١٨٧٠-١٩٢٤)، في مطلع هذا القرن .. العشرين . وكان معظم هذه القرابين ، من القريبين من النظام، والخطيرين عليه، في نظر السلطة، على نحو ما رأينا في كتابنا الأول، من كتب السلسلة(٣) ، مضافا إلى ذلك ـ بطبيعة الحال ـ من أظهروا تمرداً على قرار من السلطة، سواء في ذلك ملايين العمال والفلاحين على السواء .

و (الدولة) ، التي اعتبرها هيجل (إلها يمشي في الأرض) ، شخصية (معنوية)، يمثلها من يعتلي السلطة ، ولذلك خلعت صفة (الألوهية) هذه ،

---

(١) عبد الفتاح الديدى : فلسفة هيجل ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠ ، ص ٣١ .

(٢) هـ. ا. ل. فشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ ـ ١٩٥٠) ـ تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ـ (جمعية التاريخ الحديث) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٨ ، ص ٢٠٣ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

على زعماء هذه البلاد، فقد ظل ستالين فى الاتحاد السوفيتى مثلا، «يعبد بالقول وقتا، يكاد يبلغ نصف قرن،، كان فيه، «يسمى (زعيمنا ومعلمنا العظيم)، و(حامل لواء العلم والموسيقى)، و(أعلم علماء زمانه)، و(أعظم رجل فى الدهر كله)، وما إلى هذه الألقاب الضخمة»(١)، وما أن مات سنة ١٩٥٣، وتولى خرشوف بعده السلطة، حتى صار «يوصم الآن، بأنه (مستبد، غاشم، معذب، سفاح، مصاب بجنون العظمة والشذوذ الجنسى، ومزور للتاريخ)»(٢)، كما «أزيلت تماثيله من الميادين العامة، ونقل جثمانه، من جوار جثمان لينين فى الكرملين، وأعيد كتابة الكتب المدرسية، لتخليصها من عناصر التقديس الشخصى، وتقديس ستالين»(٣) - وهو أمر منطقى، أن يزاح (الإله) القديم من الطريق، حتى تستقر الأمور.. (للإله) الجديد.

وإذا كان ذلك كله قد تم بالنسبة لستالين بعد موته، فقد تم نفس الشىء، بالنسبة لخليفته - خروشوف - فى حياته، بعد (تنحيته) عن السلطة، سنة ١٩٦٥.

وبجانب هاتين الديناميتين الأساسيتين، اللتين تنتشر أولاهما، فى الغرب، وتسود الثانية، فى الشرق - الشيوعى، نجد عشرات الديناميات الأخرى، المنتشرة فى الغرب والشرق معا، إما (كتوليفة) منهما معا، تضمن (أكبر المكاسب، وأقل الخسائر)، وإما كاجتهاد شخصى، لفرد تولى السلطة فى

---

(١) جورج كاونتس: التعليم فى الاتحاد السوفيتى - ترجمة محمد بدران - مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢٦.

(٣) الدكتور محمد منير مرسى: الاتجاهات المعاصرة، فى التربية المقارنة - عالم الكتب - ١٩٧٤، ص ١٦١.

بلد ، وراح يبتكر ويخترع .. و(يؤلف)، حسب مزاجه الشخصى ، لتحقيق أغراضه ، وأغراض القريبين منه .. كما نرى عادة ، فى بلاد العالم الثالث .

وكل ذلك يضعنا — مباشرة — أمام دينامية النشاط السياسى الإسلامى ، لنرى : كيف يرسم المنهج الإلهى ، لخلق الله ، الطريقة المثلى ، التى بها تتحقق آدميتهم ، وتكريم الله سبحانه لهم .

دينامية النشاط السياسى الاسلامى :

للفرد — فى الإسلام — قيمته ، التى لاتنكر . ويعتبر المساس (بحقوق الإنسان) المشروعة — فى الإسلام — مساسا بأمن المجتمع كله :

— من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفساً بغير نفس ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا .. »(١) .

يقول الشهيد سيد قطب، تعليقا على هذه الآية : « إن قتل نفس واحدة — فى غير قصاص لقتل ، وفى غير دفع فساد فى الأرض — يعدل قتل الناس جميعا ، لأن كل نفس ، ككل نفس، وحق الحياة واحد ، ثابت لكل نفس ، فقتل واحدة من هذه النفوس ، هو اعتداء على حق الحياة ذاته ، الحق الذى تشترك فيه كل النفوس »(٢) .

ذلك أن العدوان على نفس واحدة ، تهديد لكل نفس ، ومن ثم فهو نزع لمعانى (الأمن) من النفوس ، مما يهدد كل جميل فى الحياة ، ويدفع إلى

---

(١) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ٣٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (مرجع سابق) ، ص ٨٧٧ .

اليأس والقنوط ، وهما من عوامل (تخريب الحياة) فى الأرض ، فتكون حياة الناس . . خير منها الموت — وإحساس كل إنسان بالأمن على حياته وذويه وما يملك ، زرع لمعانى الأمن فى النفوس ، يزرع - معها - الأمل فى الحياة ، ويدفع إلى تعمير الأرض . . فتكون حياة خصبة للأحياء ، من الآدميين ومن السوائم ، على السواء .

لحياة الإنسان ، وإحساسه بالأمن ، (قيمة) إسلامية كبرى ، كان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، خير معبر عنها ، حين « قال يوماً لأبى مريم السلولى ، قاتل أخيه : والله لا أحبك ، حتى تحب الأرض الدم المسفوح ، فقال له أبو مريم : أتمنعنى لذلك حقاً ؟ قال : لا . . قال : لا ضير ، إنما يأسى على الحب النساء .

وحسبك من إسلام يحمى الرجل من خليفة يبغضه ، وهو قادر عليه »(١) .

وللمجتمع — فى الإسلام — قيمته التى لا تنكر أيضاً .

فليست قيمة الفرد فى الإسلام ، (على حساب) قيمة المجتمع ، كما هو الحال فى الرأسمالية ، وإنما يستمد المجتمع الإسلامى قيمته ، من قيمة (بنى آدم) فيه ، فأفراد مؤمنون صالحون ، لا يتكون منهم إلا مجتمع صالح ، حقيق بالحياة ، وبالحماية ، وبالأمن .

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر — الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ١٢٦ .

والمجتمعات لا تنهزم من الخارج أبداً . . وإنما يأتيها الانهزام من (داخلها)، ثم تأتى العوامل الخارجية، فتكون هى السبب (الظاهر) فقط ، لهذا الانهزام . . كما تدلنا على ذلك ، أحداث التاريخ .

ومن ثم فإن الأمن يتوفر للمجتمع المؤمن . . بفضل إيمان أبنائه المؤمنين ، وسيرهم على منهج الله ، الذى لا يتحقق لمن يسيرون عليه ، إلا الخير :

— « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون »(١) .

إن « الذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه ، مسألة تعبدية بحتة ، لا صلة لها بواقع الناس ، لا يعرفون الإيمان ، ولا يعرفون الحياة »(٢) ـ على حد تعبير الشهيد سيد قطب . « فالبركة قد تكون مع القليل ، إذا أحسن الانتفاع به ، وكان معه الصلاح والأمن ، والرضى والارتياح . . وكم من أمة غنية قوية ، ولكنها تعيش فى شقوة ، مهددة فى أمنها ، مقطعة الأواصر بينها ، يسود الناس فيها القلق ، وينتظرها الانحلال » .

«إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى ، بركات فى الأشياء ، وبركات فى النفوس ، وبركات فى المشاعر ، وبركات فى طيبات الحياة . . بركات تنمى الحياة وترفعها فى آن . . وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردى والانحلال »(٣) .

---

(١) قرآن كريم : الأعراف ــ ٧ : ٩٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ــ المجلد الثالث (مرجع سابق) ، ص ١٣٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ .

فالمجتمع خير بأبنائه ، وليس خيراً على حسابهم ، وهو يرتفع على أكتافهم ، ولا يرتفع على أنقاضهم . . كما يحدث فى ظل الاشتراكية .

وهنا الفرق الواضح ، بين الإسلام،والاشتراكية .

ثم يأتى الفرق الأوضح ، بين الإسلام ، وكل من الرأسمالية والاشتراكية معا ، فى أنه استطاع — من خلال منهجه — أن يجعل الإنسان، (أمانة فى رقبة) المجتمع،وأن يجعل المجتمع،(أمانة فى رقبة) كل إنسان مسلم، على نحو ما رأينا،فى نهاية حديثنا عن(معنى السياسة)، فيما سبق(١) .

وهنا أيضاً يأتى دور الخلافة الإسلامية ، حيث يرى العلامة المودودى ، يرحمه الله ، أن « القرآن يستعمل الخلافة بثلاثة معان مختلفة » ، « فمعناها الأول (حمل أمانة السلطة والصلاحيات) » ، « ومعناها الثانى (ممارسة صلاحيات الخلافة ، تحت أمر الله التشريعى — لا تحت أمره التكوينى فقط — مع التسليم بحاكميته العليا) » ، «ومعناها الثالث (قيام أمة جديدة ، مقام أمة غالبة ، فى عصر من العصور ، بعد انقراضها) . المعنيان الأولان، مأخوذان من الخلافة،بمعنى النيابة ، والمعنى الثالث،مأخوذ من الخلافة،بمعنى البقاء، والقيام مقام الغير »(٢) .

ويمكن أن نبسط كلام المودودى ، فنقول: إن للخلافة الإسلامية ، وظيفة أساسية ، وهى تطبيق قانون الله فى الأرض ، ومن هنا تأتى مكانتها فى النفوس والقلوب ، ومن هنا أيضا ، تستمد قوتها ، وذلك لأنها لا تعبر عن أفراد الحاكمين ، وإنما هى تعبر عن إرادة الله سبحانه . «والشعب لا يحترم القوانين التى وضعها الأشخاص ، بأكثر مما يحترم الأشخاص ، الذين

---

(١) ارجع الى ص ٩٨ ، ٩٩ من الكتاب .

(٢) ابو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور — رقم (٧) من (صوت الحق) — دار الجهاد ودارالاعتصام — ١٩٧٧ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وضعوها . كما أن القوانين التى تعبر عن إرادة الأشخاص ، سوف تتحطم بلا هوادة ولا رحمة ، على أيدى أشخاص آخرين ، تتعارض مصالحهم — فى معركة صراع المصالح — مع مصالح واضعى القوانين .

وعلى ذلك ، فعندما لا تنبع القوانين ، والتصديق عليها ، إلا من الكائنات البشرية ، فإنه من المتوقع دائماً ، أن يقاومها ويتحداها أصحاب المصالح المناقضة » . « وهكذا يتولد عن الإيمان الكامل ، بأن القوانين لا يضعها إلا الأشخاص ، عدم الاكتراث والاضطراب ، وإفلات الزمام »(١) .

وهو ما لا يمكن أن يحدث بالنسبة للقانون ، الذى وضعه خالق هؤلاء الأشخاص .. سبحانه .

أى أن دينامية النشاط السياسى الإسلامى ، تختلف عن دينامية النشاط السياسى،فى أى مجتمع آخر ، رأسمالى أو شيوعى . . فردى أو اجتماعى . . أو غير هذا وذاك . . فى أنها دينامية ، حددتها منذ البداية ، قوانين السماء ، لا قوانين أرضية ، تحت أى ظرف من ظروف الحياة ، على هذه الأرض .

---

(١) فيليب هـ. فينكس : التربية والصالح العام (مرجع سابق) ، ص ٢٦٣ .

الفصل الخامس

التخطيط

تقـــديم :

فى عصر الشعارات ، والادعاءات العلميـة ، الذى نعيشـه ، والذى خصصنا كتابنا السابع من كتب السلسلة ، المعنون (قضية الحرية ، وقضايا أخرى) ، لفضحه . . ظهر ادعاء يقول ، بأن التخطيط،لم يظهر إلا فى هـذا القرن العشرين ، بل ويزيد على ذلك ، أنه إنما انتشر «بين كثير من الدول ، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية »(١) .

بل إن من هـذه الادعاءات ، ادعاء أن التخطيط العلمى ، إنما ابتدعتـه الاشتراكية المعاصرة ، أو الشيوعية ، لتقضى به على « فوضوية الإنتاج الرأسمالى »(٢) .

وهى كلها ادعاءات ، لاتقوم على أساس ، على نحو ما سنرى . وأستطيع أن أدعى ـ مقدماً ـ بأن التخطيط قديم، قدم الحياة الإنسانية على الأرض ، وبأنه سمة (إنسانية) أسـاسية ، وبأنه موجود على المستوى الفردى ، مثلما هو موجود على المستوى القومى .

---

(١) منصـور حسين ، وكرم حبيب : التخطيط للتنمية ــ مكتبـة الوعى العربى ــ ١٩٧٠ ، ص ٦ .

(٢) شـارل بتلهايم : الانتقال الى الاقتصـاد الاشـتراكى ــ كتـاب رقم (٩) من سلسلة (الاقتصاد والاشتراكية) ــ وزارة الارشاد القومى (الهيئة العامة للاستعلامات) ــ ١٩٧٠ ، ص ٢٢٤ .

هذا ، وإن كنا لا نستطيع أن ننكر ، أن ظروفاً (جدت ن القرن العشرين ، جعلت التنمية — لا التخطيط للتنمية — سمة الحياة فى هذ العصر ، فقد «أصبحت التنمية الاقتصادية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، موضع اهتمام كافة الدول ، المتقدمة منها والمتخلفة على السواء ، مع اختلاف الهدف »(١) .

ولنبدأ — أولا — بتعريف التخطيط ، ثم لننتقل — منه — إلى صلته بالحياة الإنسانية ، ووضعه فى عالمنا المعاصر .. وموقف الإسلام منه .

معنى التخطيط :

والتخطيط — باختصار — هو « تنظيم لعملية التنمية الاقتصادية ، التى هى الوسيلة إلى رفع الدخل القومى ، عن طريق زيادة الإنتاج ، بغية رفع مستوى معيشة المواطنين »(٢) .

على أن النظرة الأوسع لعملية التخطيط ، تخرجه من هذا الإطار (الاقتصادى) ، إلى إطار أوسع ، هو إطار المجتمع كله ، لأن النمو ، شىء «أكبر من مجرد النمو الاقتصادى ، إنه بحث عن التمدن» ، «يضع (كل شىء) فى اعتباره »(٣) . فالعلاقة بين التقدم الاقتصادى ، والتقدم الاجتماعى ،

---

(١) الدكتور محمد عبد المنعم خميس : « تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية » — **مجلة تنمية المجتمع** — يصدرها مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — المجلد الثانى عشر — ١٩٦٥ — العددان الثالث والرابع ، ص ٦٧ .

(٢) دكتور عز الدين فودة (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

(3) HARBISON, FREDERICK and MYERS, CHARLES A. : Education, Manpower and Economic Growth, Strategies of Human Resource Development: McGraw — Hill Book Company, New-York, 1964, p. 2.

كالعلاقة بين « القاطرة ، والقوة المحركة » ، أو العلاقة بين العجين والخميرة ، فإن التنمية الاجتماعية ، هى التى تولد الرغبة فى التقدم ، وتدفع بالناس إلى الإحساس بقيمة الحياة ومعانيها ، عن طمأنينة وعدالة واستمتاع »(١) .

ومعنى ذلك، أن التخطيط ، هو عملية دراسة الوضع الراهن فى المجتمع، والعمل على تطوير هـذا الوضع الراهن،على صورة أفضل ، يمكن تحقيقها ، فى ضوء الإمكانيات المتاحة لهذا المجتمع .

ومن ثم يرى علماء التنمية ، أن التخطيط الناجح ، لا بد أن يتسم بالواقعية ، والشمول ، والاتزان ، والمرونة ، ومراعاة الخطة للظروف الخارجية ، والتكامل(٢) .

ومعناه أيضاً ، أن التخطيط ليس (تحليقاً) فى آفاق من الخيال ، بقدر ما هو (انغماس) فى الواقع ، سعياً لتحسينه — وأنه يعتمـد — بالدرجة الأولى — على الأيدى التى تعمل ، والعقول التى تفكر ، قبل الموارد الطبيعية المتاحة — وأنه — نتيجة لذلك — يعتمد — أساساً — على أمور ، يصعب قياسها ، والتحكم فيها .

ومعناه — كذلك — أنه موجود ، منذ وجدت الحياة الإنسانية على الأرض ، فالإنسان من طبعـه، أن يفكر لغده ، وأن يعمل على تحسين هـذا الغد ، ليكون خيراً من اليوم .

ولم يكن غريباً ، أن تكون (أحلام اليقظة) ، سمة من سمات الإنسان،

---

(١) الدكتور حامد عمار : فى اقتصـاديات التعليم — مركز تنميـة المجتمع فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ ، ص ١٤٨ .

(٢) دكتور عبد المنعم شـوقى : تنمية المجتمع وتنظيمه — الطبعة الثالثة — مكتبة القاهرة الحديثة — ١٩٦٣ ، ص ٦٦ .

وهى — بطبيعتها — « خطط غير واقعية ، لأنه لا يمكن تنفيذها »(١) ، إلا أنها « ظاهرة عقلية ، توجد فى جميع الأفراد ، إلا أنها تكون واضحة فى مرحلة المراهقة » ، وهى « لا تعتبر ظاهرة مرضية ، إنما ينظر إليها على كونها ظاهرة طبيعية ، أو خاصية من خصائص النمو العقلى ، فى هذا الدور »(٢) .

بل إن هذه الأحلام على وجة العموم ، سمة من سمات العلماء ، والباحثين العلميين ، والمكتشفين والمخترعين ، فهم يبدءون عملهم (بحلم) ، يسارعون إلى دراسة أبعاده ، والبحث عن وسائل تحقيقه ، ومن ثم كانوا مشهورين ، بأنهم يتمتعون « بخيال ثورى خصيب » ، وبأن لديهم « ملكة حب الاستطلاع » ، و « القدرة على مناقشة المألوف ، والخروج عنه ، كلما لزم الأمر »(٣) ، كما أن لديهم ملكة التصور ، وتوقدا فى التفكير ، يستطيعون بهما التغلغل فى مجاهل المستقبل ، والتنبؤ بحاجات البشرية(٤) .

وهذا التخطيط ، موجود على المستوى الفردى ، وجوده على المستوى الاجتماعى ، فالدولة تخطط لمجتمعها ، لتنقل هذا المجتمع ، إلى صورة معينة ،

---

(١) وليم مننجر : النمو الوجدانى والانفعالى — رقم (٤٨) من (سلسلة دراسات سيكولوجية) — ترجمة سامى على الجمال — اشراف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٢ ، ص ٣٤ .

(٢) دكتور مصطفى فهمى : سيكولوجية الطفولة والمراهقة — الطبعة الثانية — لجنة النشر للجامعيين — مكتبة مصر — ١٩٥٥ ، ص ٢٣٨ .

(٣) الين بول : آفاق العلم — ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة — مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٠ ، ص ٢٤٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥ .

تراها فى المستقبل ، والفرد يخطط لغده ، ليكون — فى هذا الغد — على نحو معين يريده ، اجتماعيا واقتصاديا وعلميا .

وقد يكون هذا التخطيط مكتوبا ، وموزعا العمـــل فيه على شهور وسنوات ، محدداً فيه حجم العمل فى كل مرحلة ، ومتطلباته .. وقد يكون غير مكتوب ولا موزع ، ولكنه — رغم ذلك — موجود ، لا يمكن إنكاره ، أو إنكار وجوده .

غير أن ذلك يجب ألا يجعلنا نتناسى الحقيقة الماثلة أمامنا ، وهى أننا نعيش فى(عصر التخطيط)، بمعنى أن ظروف الحياة فى هذا العصر، قد جعلت التخطيط ، سمته الرئيسية ، على نحو ما رأينا ، فى تقديمنا لهذا الفصل .

وقد ساعد على ازدهار التخطيط فى هذا العصر ، بحيث صار يسمى (عصر التخطيط) ، توفر (الوسائل) و (الأدوات) ، التى جعلت من السهل، الحصول على البيانات والإحصائيات ، المتعلقة بألوان النشاط المختلفة فى المجتمع ،وبالصادرات والواردات ، وبموارد الدخل وبعدد السكان ، وألوان نشاطهم، وتوزيعهم على ألوان النشاط المختلفة ، والأقاليم المختلفة .. وبدون الحصول على هذه البيانات والإحصائيات ، لا يمكن أن يتم تخطيط سليم .

يضاف إلى ذلك ، أن هناك أدوات كثيرة ، استحدثت بعد الحرب العالمية الثانية ، سهلت عملية التخطيط هذه ، كالحاسبات — أو العقول — الإلكترونية مثلا ، فبفضلها ، أمكن جمع المعلومات ، وتخزينها ، والاستفادة بها ، فى سهولة ويسر ، مما يضمن اختصار الوقت ، ودقة الحساب ، وإعطاء أصدق النتائج ، فى نفس الوقت .

سمات التخطيط :

رأينا — فيما سبق — أن علماء التنمية ، يرون ضرورة اتسام التخطيط، بعدة سمات ، تضمن نجاحه فى تحقيق أهدافه ، منها الواقعية والشمول والاتزان والمرونة ، ومراعاة الخطه للظروف الخارجية ، والتكامل .

وتعنى **الواقعية** ،أن يستند التخطيط ، على الواقع الماثل أو الراهن.. من حيث درجة التقدم الحضارى ، وعدد السكان وتوزيعهم ، والموارد المادية — أو الطبيعية — المتاحة ، ودرجة استغلالها ، وغيرها .

ويعنى **الشمول** ، شمول التخطيط،لمختلف جوانب المجتمع ، الفيزيقية والميتافيزيقية،أو المادية والروحية .. أو الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والحضارية ، على حد سواء ، وذلك لأن التنمية ، التى من أجلها يتم التخطيط ، ليست مجرد تغيير اقتصادى ، وإنما « هى — فى عاقبة الأمر — عملية تغيير حضارى، فهى بديل اجتماعى واقتصادى — بالمعنى الواسع لهاتين الكلمتين — للواقع التاريخى ، الذى عاش ويعيش فى المجتمع ، فهى تغيير لنمط الحياة ، ولطريقة ممارستها ،ولأسلوب تصورها » . « ولا يمكن تصور تنمية المجتمع ، دون تغييره تغييراً جذريا »(١) .

ولسنا ننكر أهمية الجانب الاقتصادى فى عملية التنمية ، ولكننا ننكر أن يكون هذا الجانب ، هو الجانب الوحيد ، أو شبه الوحيد ،كما يقول

---

(١) الدكتور محيى الدين صابر ، والدكتور لويس كامل مليكة : « التدريب : مضمونه ، ووسائله ، وتقويمه » — **ابحاث فى التدريب على تنمية المجتمع** — الحلقة الدراسية ، للتدريب على تنمية المجتمع ، فى الدول العربية — القاهرة — ١٩٦٣ — مركز تنمية المجتمع ، فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ ، ص ١٠٢ .

بذلك، كارل ماكس، ومدرسته المادية، وإن كانوا — عند التطبيق فى الاتحاد السوفيتى ، بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ البلشفية — قد وسعوا هذا الجانب ، بحيث شمل النواحى الاجتماعية كذلك .

فالتنمية، « تطوير للمجتمع نفسه ، بما فيه من تنظيمات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعلمية ، بل هى تطوير للمجتمع ، بما فيه من أفراد »(١) ، ومن ثم « يجب أن تكون نظرة المخططين إلى المجتمع كوحدة ، وكيان متكامل مترابط » ، « وأن يربط المخططون بين الماضى والحاضر ، وبين ما يرسم لبلوغه ، من اتجاهات ومعالم المستقبل »(٢) ، بهدف « السعى للتغلب على أنواع التخلف ، الاقتصادى والاجتماعى والحضارى »(٣) .

ومحور التنمية ، التى من أجلها يتم التخطيط ، هو . . الإنسان ، بدءاً ونهاية . . فهو الذى يحدث هذه التنمية ، وهو الذى يستفيد منها .

---

(١) الدكتور مصطفى أبو الفتوح احمد : « أثر العوامل البيئية ، فى ادارة التنمية » — **مجلة تنمية المجتمع** — يصدرها مركز تنمية المجتمع ، فى العالم العربى — المجلد الثانى عشر — ١٩٦٥ — العددان الثالث والرابع ، ص ١٢٣ .

(٢) الدكتور محمود احمد الشافعى : « التخطيط القومى ومستلزماته من التدريب والمتدربين » — **ابحاث فى التدريب على تنمية المجتمع** — الحلقة الدراسية ، للتدريب على تنمية المجتمع فى الدول العربية — القاهرة — ١٩٦٣ — مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ ، ص ٢٥ .

(٣) الدكتور عبد الكريم درويش : « القيادة الادارية والتنمية » — **مجلة تنمية المجتمع** — يصدرها مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — المجلد الثانى عشر — ١٩٦٥ — العددان الثالث والرابع ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

ومن ثم كانت (صورة) هذا الإنسان ، هى المحور الأساسى لعملية التخطيط ، حيث يقوم هذا التخطيط ، « على تحديد صورة إنسان الغد ، لا بصورة استاتيكية ثابتة ، بل ضمن المنظور الدينامى ، لتكيفه المستمر، مع تغيرات المجتمع .وبدافع التبسيط، والقرب من المدركات الحسية ، نستطيع أن نقسم تلك الأهداف، إلى نوعين رئيسيين : الصورة الاقتصادية لإنسان الغد من جهة ، التى استحوذت فى الغالب ، على اهتمام المعنيين ، والأدوار الاجتماعية لهذا الإنسان، من جهة ثانية »(١) .

وإذا كان الشمول مطلوبا فى التخطيط ، فإن محور هذا الشمول ، يجب أن يكون هو الإنسان أيضا ، بمعنى أن يشمل التخطيط ،مختلف جوانب الإنسان ، ومختلف حاجاته . ومن خلال هذا (الشمول) لحياة الإنسان ،يتم (الشمول) لمختلف جوانب المجتمع .

أما **الاتزان** — فى التخطيط — فإنه يعنى التروى ، وعدم الاندفاع ، والدراسة المتأنية ، لكل ما يتم التفكير فيه ، بحيث (يمكن) تنفيذه .

وأما **المرونة** ، فإنها تعنى (قدرة) الخطة ، على أن (تطور) نفسها ، مستجيبة لأى (طارىء) يطرأ ، فى طريق التنفيذ ، دون أن (تجمد) ، على ما ورد بها من تفصيلات ، على طريق هذا التنفيذ .

وأما **مراعاة الخطة للظروف الخارجية** ،فإنها تعنى،ألا تقف الخطة عند

---

(١) الشيخ بكرى : « التخطيط التربوى ، عملية توفيق ، بين الانسان ومستقبله » — **التربية الجديدة** — مجلة فصلية ، تعالج شؤون التخطيط والتجديد فى التربية — السنة الأولى — العدد الثالث — آب (اغسطس) ١٩٧٤ ، ص ٣ .

حد الأرقام أو الأعداد ، المتصلة بالمال المستثمر مثلا ، أو بالأفراد العاملين ، أو بالإنتاج (أو الحصيلة) .. أو ما إلى ذلك ، وإنما يجب أن تدخل فى هذا الحساب ، مجموعة العوامل ، التى قد تؤثر فى هذه الخطة ، سواء من داخل البلاد ، أو من خارجها ، على السواء .

هذه هى سمات التخطيط الناجح ، فى نظر علماء التنمية ، وهى سمات ، اشتقها هؤلاء العلماء ، من مصادر ثلاثة ، هى :

١ — طبيعة التخطيط كعلم .

٢ — ظروف الحياة فى المجتمعات ، سواء فى ذلك الظروف الداخلية ، والمتغيرات الدولية .

٣ — الممارسات العملية للتخطيط ، فى مجتمعات عديدة ، مختلفة النظم الاجتماعية والأيديولوجيات .

ورغم ذلك ، فإن الجانب (المادى) ، يظل هو الجانب الطاغى ، فى هذا التخطيط .

وعندما يشار إلى الجوانب الاجتماعية ، فإنما يشار إليها ، بوصف التقدم المادى لا يتحقق ، إذا هى أغفلت .

وعندما يشار إلى رضا (الإنسان) وسعادته ورفاهيته .. فإنما يشار إليها ، لأن الإنسان هو الذى يحقق التقدم المادى ، ومن ثم فإن عائد الرضا والسعادة والرفاهية .. عائد على هذا التقدم المادى ، أولا وأخيراً .

أما الإنسان كإنسان ، فلم يجد له مكانا فى هذا التخطيط .. الحديث ، أو المعاصر ، وإن كان هو محور هذا التخطيط ، فى ديانات السماء ، على نحو ما سنرى ، عند الحديث عن (التخطيط فى الإسلام) ، فيما بعد .

انماط التخطيط فى عالمنا المعاصر :

تعتبر دينامية التخطيط فى عالمنا المعاصر ، جزءاً من دينامية الحياة عموماً ، فى كل مجتمع من مجتمعات عالمنا المعاصر ، على نحو ما رأينا فى دينامية النشاط الاجتماعى ، ودينامية النشاط الاقتصادى ، ودينامية النشاط السياسى ، فى فصول الكتاب السابقة ، ومن ثم نستطيع أن نرى ديناميتين اثنتين أساسيتين للتخطيط ، فى البلاد المتقدمة ، فى عالمنا المعاصر ، إحداهما هى الدينامية الفردية ، والثانية هى الدينامية الاجتماعية .

وفى **النمط الاول** من أنماط التخطيط ، وهو **النمط الفردى** ، نرى التخطيط يتم ، ولكنه يتم على المستوى الفردى ، لا على مستوى الدولة — أو المجتمع — ككل — ، « فالاقتصاد الرأسمالى مقسم إلى مشروعات فردية ، تخص أفراداً رأسماليين ، أو مجموعات متفرقة من الرأسماليين ، وكل رأسمالى يكافح من أجل ربحه »(١) ، و « هدف الإنتاج الرأسمالى » ، هو « ضمان الربح الأقصى ، لأقطاب المال والصناعة »(٢) .

وعادة ما ينضم الأفراد ، إلى بعضهم البعض ، ليكونوا (شركات) أو (مؤسسات) ، تكون أقدر على المنافسة ، وعلى (ابتلاع) السوق ، المحلى والعالمى . .

وتعتبر هذه الشركات ، سواء المملوكة منها لفرد ، والمملوكة لأفراد ، من (القوى الضاغطة) على الحكومة ، فى كل بلد من البلاد الرأسمالية ، التى تتبع — عادة — هذا (النمط الفردى) ، فى الإدارة والتخطيط ، على السواء .

---

(١) ا. اليكسييف (مرجع سابق) ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٢ .

وعادة ماتسير هذه الشركات ، حكومات بلادها ، ومن أجلها (تتورط) هذه الحكومات ، فى خلافات مع الحكومات الأخرى ، وقد تخوض حروباً من أجلها .

ولا ننسى هنا ،الدور الذى لعبته (شركة الهند الشرقية) ، فى استعمار الهند،وبلاد جنوبى شرقى آسيا . فى القرن الماضى ،كما تحدثنا بذلك أحداث التاريخ .. أو الدور الذى تلعبه شركات البترول اليوم .. فى سياسات بلادها الخارجية ، وفى داخل البلاد البترولية ، على السواء .

وليس معنى ذلك ، أن (الدولة) ليس لها دور فى هذه البلاد ، وإنما معناه،أن الدولة لا تستطيع التدخل فى شئون الأفراد والشركات ، والهيئات والمؤسسات ، (بفرض) خطة معينة ، على واحدة منها ، وكل ما تستطيعه ، هو أن تقوم — بنفسها — بما تراه واجباً قومياً عليها ، قصرت فيه هذه الشركات والهيئات والمؤسسات . . أى أنها تتدخل ، بالقيام بواجب ، لا بفرض سياسة أو خطة .

وقد تخطط الدولة هنا، ولكنها تخطط لنفسها ، لا للمجتمع كله — شأنها فى ذلك شأن الشركات والهيئات والمؤسسات ، التى تخطط كل منها لنفسها .. لتنمو فى إطار تخطيطها هذا .

ولا يعنينا هنا، ما تلحقه مثل هذه (السلبية) من الدولة ، أو (غيابها عن الساحة ، من إضرار بالصالح القومى العام ، فى كل من هذه البلاد (الفردية) التخطيط . . فقد يكون تدخل الدولة فى (كل شىء) ، على نحو ما سنرى فى النمط الثانى — الاجتماعى ، أكثر إضراراً . . ولكن الذى يعنينا ، هو أن تلك الفردية فى السياسة والاقتصاد .. تنعكس على التخطيط للتقدم والنمو ، فى هذه البلاد أيضاً .

أما **النمط الثانى** من أنماط التخطيط ،وهو **النمط الاجتماعى**، فإن الدولة فيه ، هى التى تتولى شئون التخطيط للمستقبل ، توليها شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فى الحياة العامة ، مع (سلبية) تامة من الأفراد ، فى هذه الأمور ، إذ لا يتعدى دورهم ، (تنفيذ) ما يصل إليهم من أوامر وتوجيهات ، يقتربون من المثالية ، بقدر مايلتزمون بحرفية تنفيذها ، والولاء للقيادة السياسية بوجه عام .

وكثيراً ما نسمع فى هذه المجتمعات ، عن (اللجان الشعبية) ، وغيرها ، مما يوحى باللجوء إلى (الشعب) ، فى كل شىء ، ومما يوحى بأن « الحكومة الماركسية ، هى حكومة العمال والصناع » ، ولكن « الجماعات أو اللجان ، التى يسمونها بالسوفييت ، ليست هى جماعات مؤلفة من العمال والصناع ، كما يخطر على البال ، ولكنها جماعات مختلطة من المديرين ، والمشرفين على المصانع ، والقائمين بتنفيذ المشروعات الاقتصادية »(١) ، كما أن « هذه الطبقة — طبقة الحاكمين فى البلاد الشيوعية — تأخذ الأقوات ، من أفواه العاملين ، لينفقها على جيوش من الجواسيس والأرصاد ، وعلى جيوش من من العساكر والضباط ، وعلى جيوش من الدعاة والمداحين » ، وأنها « تنفرد بعيشة الرخاء ، وتختار لنفسها ماتشاء من المساكن والأطعمة ، وتأمر وتنهى ، وتعز وتذل » ، وغايتها من ذلك ، « أن تحمى وجودها ، وتحفظ نفوذها ، وتقطع الطريق ، على كل منافسة تخشاها ، ولو هلكت الأيدى العاملة ، وطال عليها عهد التسخير والتضليل .

ولم يحدث قط فى التاريخ ، أن سلطاناً غاشماً مستبداً ، أنفق من الأموال،

---

(١) عباس محمود العقاد : أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة (مرجع سابق) ، ص ٦١ ، ٦٢ .

على السلاح والجاسوسية ، ما ينفقه هؤلاء الطغاة المستبدون ، فى بلاد الشيوعيين »(١) .

أى أن الدولة ، هى التى تتولى التخطيط — وحدها — فى هذا النمط الثانى — الاجتماعى .

وأى رجوع إلى الشعب فى هذا التخطيط ، إنما هو من باب الدعاية ، والادعاء الكاذب ، خداعاً للموهومين ، خارج (القبضة الحديدية) ، حتى يقعوا فى هذه (القبضة) .

وتعتمد الدولة فى هذا النمط الثانى — الاجتماعى ، على العلماء والمتخصصين ، فى مختلف المجالات ، حتى تضمن نجاح تخطيطها ، سواء فى مرحلة إعداد الخطة ، وفى مرحلة تنفيذها ، على السواء .. ولكننا لا ننسى أن الأفراد — والشركات والهيئات — فى النمط الأول — الفردى ، يستعينون بالعلماء والمتخصصين أيضاً ، لضمان نجاح تخطيطهم ، ولضمان ربحهم — نتيجة لذلك .

ولا يقف (الاتفاق) بين النمطين ، عند حد الاعتماد على العلماء والفنيين والمتخصصين ، بل إننا نجد بينهما اتفاقاً أهم ، وهو الاتفاق على أن هدف هذا التخطيط ، هو تحقيق (التنمية المادية) .

فالمادة هى البداية ، والمادة هى النهاية ، فى النمطين من أنماط التخطيط ، على السواء .

وقد يستفيد الإنسان بهذا التقدم المادى ، الذى يتحقق من خلال هذا التخطيط ، إذ تكون نتيجته غسالة وثلاجة وسيارة ووسائل اتصال ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

وغيرها .. ولكن (راحة الإنسان) ، ليست هى الهدف ، وإنما الهدف ، هو تحقيق الربح ، فى النمط الفردى ، وتحقيق سيطرة الدولة على المواطنين فى الداخل ، وعلى الدول الأخرى فى الخارج ، فى النمط الاجتماعى .

وهنا ، يختلف هذا التخطيط ، فى النمطين ، عنه فى العالم الثالث اليوم ، وعنه فى الإسلام، على نحو ما سنرى ، فى جوانب،تختلف هنا ، عنها هناك، بطبيعة الحال .

التخطيط فى العـالم الثالث :

رأينا أن هدف التخطيط، فى العالمين الرأسمالى والشيوعى على السواء ، هو تحقيق (التنمية المادية) ، إما بهدف الربح والكسب ، وإما بهدف السيطرة على العالم .

وتدعى حكومات العالم الثالث ، أنها تسير فى طريق التخطيط ، وتأخذ به ، حتى تقطع المسافة الواسعة ، التى تفصل بين واقعها الذى تعيشه ، والمستوى الذى وصلت إليه البلاد المتقدمة ، فى أقصر وقت ممكن .

و « يتعجل معظم هذه البلاد ، تلك النهضة ، محاولا (القفز) إلى مستوى البلاد المتقدمة ، مما يدفعها إلى (التخبط) فى كثير من الأحيان ، فتبدد بذلك ، مواردها القليلة ، وإمكانياتها المحدودة ، دون أن تحقق ما تبغى من تقدم ، أو توفر ما تبعثر من موارد وإمكانيات »(١) .

ولكن ما تدعيه حكومات هذه العالم الثالث ، هو مجرد ادعاء ، تبرر — به

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة (مرجع سابق) ، ص ١٤٦ .

— لنفسها، سيطرتها على المقدرات والموارد ، وما تقوم به فى حياة بلادها ، من تأميم، ومصادرة للحريات، وتضييق فى الموارد ، ومص لدماء الكادحين، من قوى الشعب العريضة ، التى ضحت من أجل حلمها الكبير ، فى التخلص من الاستعمار ، ثم إذا بها مطالبة — بعد ذلك — أن تضحى من أجل حلمها الخادع ، وهو تحقيق التقدم ، الذى فيه تضحى من أجل غد ، يبدو لها أنه لن يأتى أبدا ، لأنها الموارد المحدودة ، تنهب فى وضح النهار ، دون محاسب أو رقيب ، ولأن العلماء من أبنائها ، ينحون عن أية مشاركة ، فى عمل جاد ، لتحقيق هذا التقدم ، لأنهم — ليشاركوا — لابد أن يثبتوا أنهم من (أهل الثقة) ،وكثيرون منهم يعجزون عن إثبات ذلك ، احتراما لعقلياتهم، ولإعدادهم العلمى ، ولوطنيتهم أيضا .

يضاف إلى ذلك ، أن التخطيط فى العصر الحديث ، يحتاج إلى أدوات ومعدات وأجهزة معقدة ، غالية الثمن ، تنوء بها ميزانيات معظم بلاد العالم الثالث .. المتواضعة، ويحتاج — بالإضافة إلى ذلك — إلى فنيين ومتخصصين، فى الإحصاء ، وفى إدارة هذه الآلات والأجهزة المعقدة ،وهو أمر لا يتوفر عادة، لبلاد هذا العالم الثالث.

ومن ثم يتحول التخطيط المدعى ، فى بلاد العالم الثالث، والمرفوع شعاره فيه ، إلى لون من ألوان تبديد الموارد المحدودة ، فى (سوق الشعارات) ، الرائجة كثيراً ، فى هذا العالم الثالث .

ذلك أن هذا التخطيط (المستحيل) ، يحتاج إلى إدارة ، وقد يحتاج إلى وزارة ، والإدارة — أو الوزارة — تحتاج إلى موظفين ، كبار وصغار .. كما تحتاج إلى مبانى ومعدات وآلات .. تشترى بالعملة الصعبة ، ولكنها لا تستغل .

وإذا استغلت الآلات والمعدات ، وعمل الموظفون ، الكبار منهم والصغار ، فإنهم يفسدون أكثر مما يصلحون ، وذلك لأنهم يعملون على غير أساس ، فعدد السكان ، وتوزيعهم على المناطق الجغرافية المختلفة ، وتوزيعهم على المهن المختلفة ، وغيرهـــا من الأمور ، الأولية البسيطة ، التى لا غنى للمخطط عنها ، غير موجودة بدقة ، فى هذا العالم الثالث .

فإذا ما خططوا — فى هذا الضوء — ونفذت الخطط ، فإنها تكون كارثة ، ومن ثم كان (تبطلهم) ، خيرا من (عملهم) ، لأن هذا التبطل — أو التعطل — قد يكون عبئا على الموارد المحدودة ، ولكن عملهم ، سيكون عبئا أكبر ، بسبب ما سيفسدونه بخططهم ، غير القائمة على أساس .

ورغم ذلك ، تصر قيادات العالم الثالث ، على أن يقال : إن عندها تخطيطا ، كما تصر على أن يقال : إن عندها بحثا علميا ، وإن عندها مسرحا وموسيقى وفنونا جميلة ، وغيرها مما تظهر به نفسها أمام العالم .. بلاداً متقدمة ، والعالم أعرف بمدى تخلفها ، وأكثر سخرية بها وبقياداتها ، عندما تبدد مواردها ، على هذا النحو القبيح .. من أجل الدعاية ، لا من أجل غيرها .

التخطيط فى الاســلام :

الإيمان بالله ، والتوكل عليه ، هما أساس الإسلام وعماده ، بل ومنهما كان الاسم ذاته .. الإسلام ، بمعنى إسلام — أو تسليم — الوجه لله ، الذى يؤمن به المسلم .

ولكن التوكل على الله ، لا يعنى — فى الإسلام — التواكل ، واللامبالاة ، وإنما هو يعنى ما قاله الفاروق عمر — رضى الله عنه — للأعرابى ، الذى ترك ناقته وذهب إليه ، بدعوى التوكل على الله ، فقال له : اعقلها وتوكل — فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .. على حد تعبيره ، رضى الله عنه ،

أيضا ، فى مناسبة أخرى ، لرجل ترك العمل ، وانقطع للعبادة ، بدعوى التوكل على الله أيضا .

وتكاد فصول الكتاب السابقة كلها ، أن تكون توضيحاً لهذا المعنى الإسلامى ، الذى يجب أن يتضح فى ضمير كل مسلم ، وإلا كان إسلامه، مشكوكاً فيه .

وطالما كان (التوكل) على الله ، عنصراً (إيجابيا) على هذا النحو ، فى ضمير المسلم ، وليس عنصراً (سلبيا) فيه ، كما يحب البعض أن يفهموا ، فإن (التخطيط) ، يكون مبدأ أساسياً ، من المبادىء التى تقوم عليها حياة المسلم — فرداً وجماعة .

غير أن هذا التخطيط الإسلامى ، يختلف عن أى تخطيط آخر .. اختلافاً جذرياً .

فأى تخطيط آخر ، من أنماط التخطيط التى رأيناها فيما سبق ، فى الشرق أو فى الغرب، أو فى العالم الثالث ، تخطيط (دنيوى) خالص ، لا يتعدى محاولة إصلاح هذه الحياة الدنيا . . ولكن التخطيط « الإسلامى» يتسع ، ليخطط (للدنيا والآخرة) معاً، فالحياتان — فى الإسلام — حياة « واحدة ، بدايتها على الأرض ، وآخرتها فى الجنة ، أو فى النار ، بعد البعث ، فليكن عمل المسلم المؤمن ، لهذا اليوم الآخر ، الباقى الخالد ، لا للحياة الأرضية الفانية ، مهما بدت زخارفها ومفاتنها »(١)

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة — الكتاب الخامس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٧٨ ، ص ١١٣ .

ومعنى ذلك ، أن « الإسلام شيء أكبر من الصلاة ومن الصوم » ، وأن « القيم الروحية في الإسلام ، ذات علاقة وثيقة ، بنواحي الحياة المادية المختلفة . . وماذا تكون الروحانيات ، إذا لم تغير صور الحياة المادية الدنيوية ؟ »(١) .

أي أن القيمة الحقيقية لليوم الآخر ، الذي يعيش عليه المسلم في دنياه ، و (يخطط) للوصول إلى الجنة فيه ، بالتقرب إلى الله ، وتجنب خطوات الشيطان .. هي تحرير الإنسان ، بمعنى توفير الحرية له ، على أن تكون تلك الحرية الحقيقية ، التي لا تعني « انطلاقا من القيود ، بل هي معنى ، لا يتحقق في الوجود إلا مقيداً » ، و « القيود الضابطة للحرية ، هي في أصلها قيود نفسية ، وليست قيوداً خارجية ابتداء »(٢) — أو هي تلك القيود ، التي يفرضها ضمير المؤمن ، على سلوكه .

وبالإضافة إلى هذا الاختلاف (الأساسي) ، بين الإسلام ، والنظم الوضعية المعاصرة ، في التخطيط ، نجد اختلافاً آخر ، يتصل (بشمولية) التخطيط ، حتى في إطار هذه الحياة الدنيا ، وحدها .

إنه في النظم المعاصرة ، ينصب على (المادة) وحدها ، متمثلة في الجانب الاقتصادي من الحياة ، وإذا اتسع فامتد إلى الجوانب الاجتماعية ، فإنه يمتد إليها ، خدمة لهذا الجانب الاقتصادي ، على نحو ما رأينا فيما سبق ، عند حديثنا عن (أنماط التخطيط ، في عالمنا المعاصر)(٣) — بينما هو في الإسلام ،

---

(١) محمد مظهر الدين صديقي (مرجع سابق) ص ٦٤ .

(٢) الامام محمد ابو زهرة : في المجتمع الاسلامي (مرجع سابق) ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) ارجع الى ص ١٢٥ — ١٣٠ من الكتاب .

ينصب على الفرد والمجتمع معاً ، بمختلف جوانب هـذا وذاك ، معطياً (الجانب الروحى) ، أولوية مطلقة ، ولكنه لا يلغى بقية الجوانب ، بل بالعكس، يزكيها ويؤيدها ، لأن الروح، تعتبر بمثابة (الطاقة المحركة) للنشاط الإيجابى البناء ، فى الفرد والمجتمع ، على السواء .

وثمة اختلاف آخر ، نراه بين التخطيط الإسلامى ، والتخطيط المعاصر ، هو أن هذا التخطيط، تغلب عليه سمة (الفردية)، فى العالم الغربى ، وتغلب عليه سمة(الجماعية)، فى العالم الشرقى - الشيوعى ، أى أنه ينحاز إلى جانب واحد ، دون الآخر ، بينما هو فى الإسلام ، يقوم على الفرد والمجتمع معاً .

فالنظام الإسلامى فى التنمية ، يقوم على الفرد ، على نحو ما سبق ، من خلال تنمية (ضميره) ، بوصل الإنسان بربه .

ورغم أن الإسلام يعترف (بالفرد) ، فإنه ينكر (الفردية) ، إذ أنه يجعل الفرد مسئولا عن المجموع ، مسئولية المجموع عن الفرد ، كما أنه يهتم (بالضمير) الاجتماعى ، اهتمامه (بالضمير) الفردى ، ومن أجل ذلك ، كانت أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فى المجتمع الإسلامى ، فلا « سبيل » إلى « تهذيب الآحاد » عنده ، إلا أن « يكون هناك رأى عام مهذب لائم ، يحث على الخير ، وينهى عن الشر ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فإن الرأى العام ، له رقابة نفسية ، تجعل كل شرير ينطوى على نفسه ، فلا يظهر ، وكل خير يجد الشجاعة ، فى إعلان خيره »(١) ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن (الإطار العام، للنشاط الاقتصادى الإسلامى)، فى الفصل الثالث(٢) .

---

(١) الامام محمد ابو زهرة : تنظيم الاسلام للمجتمع ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ارجع الى ص ٦٧ ، ٦٨ من الكتاب .

ومن ثم يتميز (التخطيط) الإسلامى ، عن أى نوع آخر من أنواع التخطيط ، قديم أو حديث ، (بشمولية) هذا التخطيط ، سواء فى ذلك : شموليته الدنيا والآخرة ، وشموليته للفرد والمجتمع . ولا يغفل التخطيط الإسلامى ، الإشارة إلى أنماط التخطيط الأخرى ، القاصرة .. ولكنه يشير إليها ، لا على أنها (نموذج) يحتذى ، بل على أنها نمط يبتعد عنه .

ومن ثم لا يأتى الحديث عن هذه الأنماط الأخرى من التخطيط وحدها، وإنما هو يأتى مقابلا للنمط الإسلامى ، حتى يبدو كمال هذا .. التخطيط الإسلامى .

ففى قصة قابيل وهابيل - على سبيل المثال - (يتقابل) النمطان :

- « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا ، فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر ، قال : لأقتلنك ، قال : إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك ، لتقتلنى، ماأنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين »(١) .

كما يتقابل النمطان أيضا ، فى موقف الناس من قارون ،عندما طلع عليهم فى زينته :

— « فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا :

---

(١) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ٢٧ — ٣٠ .

ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ، إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يلقاها إلا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض ، فماكان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وماكان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون : ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون »(١) .

كما يتقابل النمطان من التخطيط كذلك ، فى كل موقف يلتقى فيه الخير والشر ، وجهاً لوجه ، فى حياة نبى من أنبياء الله ، أو مصلح من المصلحين .

ولكن النمط المتكامل للتخطيط عموماً ، بفهمه الإسلامى الواسع هذا ، وبفهمه الدنيوى المحدود ، معاً ، لا يظهر لنا فى قصة من قصص القرآن ، كما نراه فى قصة (يوسف) ، كما تستعرضها سورة يوسف (رقم ١٢ بالمصحف) ، التى تبدأ — بعد ديباجة السورة — بالقصة مباشرة ، على هذا النحو :

— « إذ قال يوسف لأبيه : ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »(٢) .

أى أن القصة تبدأ بالبداية والنهاية معاً .

والبداية نراها فى ذلك الحلم ، الذى تنتهى به أحداث القصة :

— « ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياى من قبل ، قد جعلها ربى حقاً ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ،

---

(١) قرآن كريم : القصص — ٢٨ : ٧٩ — ٨٢ .

(٢) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٤ .

إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم »(١) .

وبين خطى البداية والنهاية ، يتم النمطان المتناقضان من التخطيط : النمط الربانى — المتكامل — والنمط الشيطانى — الدنيوى المحدود .

ويتجسد التخطيط الربانى ، فى تصرفات سيدنا يعقوب عليه السلام ، والد يوسف وبنيامين ، ووالد إخوتهما العشرة — جميعاً ، وفى تصرفات ابنه يوسف . . عليه السلام .

ويتجسد التخطيط الشيطانى ، فى تصرفات أبناء يعقوب ، غير يوسف وبنيامين ، الذين أرادوا — وحدهم — أباهم ، وما يرمز إليه هذا الأب ، من كل مفاتن الدنيا ، وزخارفها .

ولو لم يكن هناك هذا التخطيط الشيطانى ، فى مواجهة التخطيط اليعقوبى — الربانى — ما قال قول الله سبحانه ، فى فصول القصة الأولى ، وبعد إخبار سيدنا يوسف له ، بالحلم الذى رآه :

— « قال يابنى ، لا تقصص رؤياك على إخوتك، فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك،ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب . . »(٢) .

ولولاه ، ما اختتمت القصة — الطويلة — بهذه العبارات :

— « ذلك من أنباء الغيب ، نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم ، وهم يمكرون . وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين »(٣) .

---

(١) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ١٠٠ .
(٢) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٥ ، ٦ .
(٣) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ولذلك ، يعقب الشهيد سيد قطب ، على الآيتين بقوله ، إن القصة قد انتهت، «لتبدأ التعقيبات عليها » ، «وتبدأ معها اللفتات المتنوعة ، واللمسات المتعددة ، والجولات الموحية،فى صفحة الكون ، وفى أغوار النفس ، وفى آثار الغابرين ، وفى الغيب المجهول ، وراء الحاضر المعلوم » .

« ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ، وهم يمرون كذلك ، على الآيات المبثوثة فى صفحة الوجود ، فلا ينتبهون إليها ، ولا يدركون مدلولها ، كالذى يلوى صفحة وجهه ، فلا يرى ما يواجهه »(١) .

وتبدو (شيطانية) التخطيط ، فى تلك (الأنانية) ، التى سولت للإخوة ، أن يحرموا أخا صغيراً لهم ، من حق حصل عليه كل منهم، عندما كان فى سنه ، وهو حق الحب والعطف ، ومزيد من الرعاية ، يحتاج إليها الصغير ، أكثر من الكبير .. ثم فى تآمرهم ، لتحقيق هذا الحرمان ، وإشباع تلك الأنانية ، حتى ولو أدى الأمر ، إلى اتخاذ أسلوب القتل ، سبيلا إلى تحقيق هذه (الأنانية) .

وفى مقابل هذا التخطيط الشيطانى ، نرى ذلك التخطيط الربانى ، الذى يصل بالصغير المفترى عليه ، إلى أعلى درجات السلطة — لا فى مصر وحدها ، ولكن فى المنطقة كلها ، بعد عزيز مصر .

ولولا هذا التآمر ، ما أتيح لهذا الصغير المفتري عليه ، أن يصل إلى ما وصل إليه ، لأنه ما كان ليصل إلى بيت العزيز ، ويدخل — عن طريق تآمر آخر — السجن ، ويرى الحلم الذى رآه ، بل كان سيعيش مع أبناء يعقوب ، مجرد واحد ، من هؤلاء الأبناء .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع (مرجع سابق) ، ص ٢٠٣١ .

وكأن هذا التخطيط الإلهى ، يشترك فى تنفيذه - بإرادة الله سبحانه - الشيطان وجنوده وأذنابه أيضاً ، وليس ذلك غريباً . . فهم من خلق الله أيضا ، وهم مجرد أدوات فى عجلة قدره . . رغم ضلالهم عنه .

ثم يتضح لنا فى قصة يوسف ، فوق هـذا التخطيط الربانى ، فى مواجهة التخطيط الشيطانى ، تخطيط آخر ، بالمفهوم المتعارف عليه اليوم من التخطيط ، نراه فى قول يوسف ، تفسيراً لذلك الحلم ، الذى رآه العزيز ، وحار فى تفسيره ، وهو حلم البقرات السمان ، والبقرات العجاف ، والسنبلات الخضر ، والسنبلاب اليابسات . . لولا أن دلهم رفيق يوسف فى السجن ، على يوسف ، ففسره ، وكان تفسيره له ، سببا فى خروجه من السجن ، وظهور براءته من الفحش ، ثم توليه خزائن مصر ، يخطط لاجتياز المحنة القادمة ، التى ظهرت لعزيز مصر فى حلمه :

— « يوسف أيها الصديق ، أفتنا فى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . . قال تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم فذروه فى سنبله ، إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد ، يأكلن ما قدمتم لهن ، إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام ، فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون »(١) .

وعلى هـذا النحو ، تسير حياة المسلم : فى الحياة اليومية ، عمل لليوم والغد ، وحسابات دقيقة ... ثم تسليم للأمر — فى النهاية — لله سبحانه .

وليس عبثا ، أن ينطلق صوت المؤذن ، داعيا إلى الصلاة ، فى ساعة ودقيقة محددتين ، وأن يتوقف على صوت المؤذن هذا ، فى الساعة والدقيقة

---

(١) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٤٦ — ٤٩ .

المحددتين ، أداء ركن أساسى من أركان الإسلام ، هو الصلاة .. بل إنه أهم أركانه ... وأن يتوقف عليه كذلك ، فى الساعة والدقيقة المحددتين ، أداء ركن أساسى آخر من أركانه ، هو الصوم ، حيث يستحسن التبكير فى الفطور ، والتأخير فى السحور .

وليس عبثا كذلك ، أن تكون الزكاة قدراً معينا محدداً من المال ، لا أى قدر منه .

وأن تكون للحج مناسكه المقررة والمفروضة والمفصلة . . المرتبطة بمراسم وطقوس ، وبوقت محدد أيضا . . وألا يكون مجرد زيارة عادية . . كأية زيارة .

وأن يكون هـذا (التحديد) فى أركان الإسلام الأربعة ، آتيا بعد (إطلاق) فى التوحيد ، بشهادة (ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله) - ركن الإسلام الأول .

وكأن هـذا (الإطلاق) فى الركن الأول . . هو هو (التحديد) — أو الدقة — أو التخطيط — فى بقية الأركان.

وهو نفس (التخطيط) ، الذى نراه مطلقا محدداً معا .. فى قصة سيدنا يوسف ، وفى قصة كل نبى من أنبياء الله ، على نحو من الأنحاء .

وعلى هذا التخطيط ، المطلق والمحدد ، يجب أن يسير المسلم فى حياته ، وإلا كان من أولئك الذين (يقولون مالا يفعلون)، وحسابهم عند الله عسير ، لأن موقفهم من الإسلام معروف . . كثيراً ما أشار إليه القرآن الكريم ، وندد به .

وللمسلم أن يفخر بديناميات مجتمعه

(أيسر) أنواع الحكم على الإطــلاق ، هو الحكم الاستبدادى .. الديكتاتورى .

ولكن (أرخص) أنواع الحكم على الإطلاق، هو هذا الحكم الاستبدادى الديكتاتورى ... ذاته .

والحكم الديكتاتورى ، هو (أيسر أنواع الحكم على الإطلاق ، لأن الحاكم فيه ، كلمته مطاعة ، وأمره نافذ، بلا مناقشة ، لأنه يحكم (أصناما)، فى أشكال آدميين .. ولا يحكم آدميين بالفعل .

وهو (أرخص) أنواع الحكم، لأن مصير هذا الحكم ، كما يحدثنا تاريخ الإنسانية الطويل ، هو الفناء ، بالنسبة للحاكم والمحكوم على السواء ، ومن ثم فإنه لا يقع فى مجتمع ، إلا وتكون عوامل (التحلل) ، قد بدأت تتسرب — بالفعل — إلى جسد ذلك المجتمع ، بحيث (اختلت) موازينه ، فصار الشعب سلبيا، إلى الحد الذى تكال له فيه اللطمات، وتزيف إرادته ، وتنهب أمواله ، فلا يتحرك ، لتحسين أوضاعه — كما صار الحاكم فيه ، يتصرف فى أمور الناس ، وكأنه يتصرف فى شئون مجموعة من السوائم ، التى لا تعى، ولا تريد أن تعى ، ولا تحب ، ولا تكره .

وتكون إمكانية الإطاحة بالحكم ، فى مثل هذه الظروف ... ممكنة .

وتكون إمكانية الانقضاض على السلطة من كل مغامر أيضا ... ممكنة .

ويكون تدخل الأجنبى فى شئون البلاد ، هو النتيجة الطبيعية ، لكل ذلك .

ذلك أن الطريق دوما ممهدة ، لـكل من يتولى السلطة ، لأن الشعب قد قتلت فيه كل إرادة ، وكل قدرة على الرؤية .

و (أصعب) انواع الحـكم على الإطلاق، هو الحـكم القائم على الشورى.

ولـكن(أقوى)أنواع الحـكم على الإطلاق ، هو هذا الحـكم،القائم على الشورى ... ذاته .

والحـكم القائم على الشورى ، هو (أصعب) أنواع الحـكم ، لأنه حكم يقوم على رجوع الحاكم — فيه — فى كل صغيرة وكبيرة — إلى الشعب،الذى يحكم ، دون أن ينفرد بقرار يتعلق بالناس ، إلا فيما ندر من الحالات ، ومن بينها حالة الحرب على سبيل المثال ، التى تتطلب السرية ، والرجوع إلى عدد قليل من الخبراء ، للموثوق بهم .. فقط .

والرجوع إلى كل الناس ، فى (كل شىء) ، أمر بالغ الصعوبة والتعقيد، لا يقدر عليه، إلا العدد القليل جداً ، من الناس .. ومن هنا صعوبته .

وهو(أقوى) أنواع الحـكم على الإطلاق،لأنه حكم لا يستندعلى فرد، كما رأينا فى الحكم الاستبدادى ، وإنمـا هو حكم يستند إلى الشعب كله ، وما الفرد الحا كم فيه ، إلا (تجسيد) لآمال كل فرد ، من أفراد شعبه .

ومن ثم يكون زوال السلطة ، أمراً مستحيلا ، لأنهـا تستند إلى قاعدة شعبية صلبة ، تحميها .. وتفتديها أيضاً .

وما قصة الثورة الإيرانية .. الإسلامية، المعاصرة ، ببعيدة عنا اليوم ، حيث تتآمر عليها القوى العالمية الـكبرى ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .. معا،ويتآمر عليها — بجانبهما — (ذيولهما)فى منطقة الشرق الأوسط ... وكل من حولها فى المنطقة ، ذيل،لقوة من هذه القوى الـكبرى .

ويتآمر عليها — بجانب هؤلاء وهؤلاء — قوى محلية كثيرة ، إما لأنهـا قد قبضت (ثمن) هذا التآمر ، من دولة كبرى ، أو من ذيل لدولة كبرى ، وإما لأن النظام الإسلامى ، يهدد مصالحها (المكتسبة) ، التى كانت تحصل عليها ، فى ظل حكم الشاه ...

ومع ذلك ، تسير الثورة الإيرانية ، واثقة من نفسها ، معتمدة على ربها وشعبها .. دون أن يؤثر فيها من ذلك كله .. شىء ، بل على العكس ، يحنى لها أعتى أعدائها ، الروس ، احتراما لها .... وخشية أيضاً .

وما موقف الولايات المتحدة الأمريكية،من رهائن سفارتها فى طهران، فى أخريات عام ١٩٧٩ ، إلا خير شاهد على ذلك ، فلقد وقفت ذليلة خانعة خاضعة .. مع أنهـا لم تتعود فيما قبل ، أن تذل أبدا .. وإنمـا تعودت أن تستخدم قبضتها الحديدية ، أو تلوح باستخدامها على الأقل ، فيصيب الروع والهلع .. كثيراً من القلوب .

ولعل ذلك ، هو ماعبر عنه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، جيمى كارتر ، بالكرامة الأمريكية American Dignity ، التى من أجلها خاضت بلاده من قبل ، الكثير من الحروب ، خارج حدودها .

ولم تأت الثورة الإيرانية الشابة بقوتها تلك ،من فراغ ، وإنمـا أتت بها، من تلك الشورى،التى تسلمت بها السلطة الحقيقية فى إيران،وقيادتها فى المنفى، وشاه إيران يتربع على كرسى الحكم .. بلا سلطة حقيقية — أى أتت بها من الإسلام ذاته،الذى يوجه فيه رب العزة عز وجل،إلى حبيبه ومصطفاه ، صلى الله عليه وسلم ، أمره صريحا :

— « فبما رحمة من الله لنت لهم ؟ ولو كنت فظاغليظ القلب ، لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين »(١) .

---

(١) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١٥٩ .

كما يصف رب العزة سبحانه ، المسلمين حقاً ، بقوله :

— « والذين استجابو لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى، هم ينتصرون »(١) .

ولأهمية (الشورى) فى النظام الإسلامى للحكم(٢)، تنزلت بها سورة كاملة من سور القرآن ، المائة والأربع عشرة ، هى سورة (الشورى) (رقم ٤٢ من المصحف الشريف) — رغم أنها من السور التى نزلت آياتها فى مكة ، قبل أن تقوم للإسلام دولة .. لأن هذه الدولة ، لم تقم إلا فى المدينة ، مما يدل على أن الشورى لا تقف — فى الإسلام — عند حد الحكم ، وإنما تتعداه إلى كل أمور المجتمع ، وعلى أن (الإمارة) لا تقف عند حد رئاسة الدولة ، وإنما تتعداها إلى كل جماعة تجتمع ، والرسول الكريم يقول — فيما هو معروف عنه — (إذا كنتم ثلاثة ، فأمروا عليكم أحدكم) .

* * *

وإنما بدأنا بهذه المقدمة ، عن السياسة ونظم الحكم ، تأكيداً لما قلناه فى الفصل الرابع ، من أن (السياسة) ليست أمراً معزولا عن ألوان النشاط الأخرى ، الموجودة فى المجتمع ، وإنما هى أمر ، يشمل كل هذه الألوان من النشاط(٣) .

---

(١) قرآن كريم : الشورى — ٤٢ : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) ذلك هو موضوع الكتاب الثاني عشر من السلسلة ، باذن الله — وانما نشير الى المسألة ، بصورة عابرة وسريعة ، يقتضيها السياق فقط .

(٣) ارجع الى ص ٩٦ ، ٩٧ من الكتاب .

ومن ثم تكون نتيجة هذه (السياسة) ، إما تقدم اقتصادى وازدهار ، وإما خراب اقتصادى ، وفقر .. كما تكون — فى الوقت ذاته — إما علاقات طيبة بين المواطنين ، وإما خلافات وتناحر وتدابر .. وتكون — كذلك — إما صوت مسموع فى المحيط الدولى ، وإما .. لاشىء على الإطلاق ، فى هذا المحيط .. الدولى .

وفى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، عن (الملامح العامة للمجتمع الإسلامى) ، كان محور الحديث عن (سمات) المجتمع الإسلامى العامة ، من ربانية(١) ، وإنسانية (٢) ، ونظافة(٣) ، وتراحم(٤) ، وهى سمات ، دارت حولها فصول الكتاب .

وهى سمات ، يمكن أن توصف (بالمثالية) ، بمعنى أنها بعيدة كل البعد ، عن حياة البشر ، أو (بالعمومية) ، بمعنى أنها يمكن أن (يدعيها) كل نظام ، غير الإسلام ، ومن ثم تفقد هذه (السمات) ، معناها ، ما لم تكن مجرد (منطلق) ، لكتب تالية من السلسلة ، تحول هذه السمات العامة ، إلى واقع حى ، نراه فى (ديناميات الحياة ، فى المجتمع الإسلامى) — موضوع هذا الكتاب ، كما نراه بصورة أكثر تفصيلا ، فى كتب تالية لهذا الكتاب .

أى أن هذا الكتاب ، يهتم (بترجمة)(مثاليات) الإسلام ، إلى (واقع حى) .. أكثر مما يهتم بهذه المثاليات — موضوع الكتاب السابق — ذاتها .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة ، للمجتمع الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٤٠ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ وما بعدها .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢١ وما بعدها .

وبعبارة أخرى : إنه يهتم (بقياس) الإنجازات ، التى يمكن أن تتحقق للإنسان ، من خلال نظامه الاجتماعى ، فى ظل الإسلام ، وفى ظل غيره من النظم .

والغاية الأساسية للإنسان — ولا شك — هى أن يحس (بالسلام) .

و (السياسة) الناجحة ، هى تلك التى تستطيع ، أن توفر للإنسان، هذا السلام ، سواء كان سلاما مع النفس ، أو سلاما مع الأهل والجيران ، أو سلاما مع المجتمع كله ، أو سلاما مع العالم ، أو سلاما مع الكون المحيط بالإنسان ومجتمعه، وعالمه الأرضى .

ولم يستطع نظام من النظم ، قبل الإسلام وبعده ، أن يحقق هذا السلام الشامل ، سوى الإسلام ، وكل ما استطاعه بعض هذه النظم ، فى (فترات تاريخية معينة) ، هو أن يحقق (بعض) السلام ، مع جانب من الجوانب ، دون سائر الجوانب ، فكانت النتيجة ، أن انهار هذا السلام ، من أساسه .

فعلى سبيل المثال ، حققت المدنية الحديثة ، سلاما لا ينكر ، مع الطبيعة المادية ، أو مع العالم المادى المحيط بنا ، من خلال التقدم العلمى الذى حققته ، ولكنها هدمت - فى مقابله — السلام الذى يجب أن يقوم ، بين الإنسان ، وبين العالم الميتافيزيقى .. كما هدمت — فى مقابله — كذلك — السلام الذى يجب أن يتحقق ، بين المجتمع المحلى ، والمجتمعات الأخرى ، لأن تحقيقها للتقدم ، يجب أن يتم (على حساب) الآخرين .

وكانت النتيجة ، أن السلام الذى تحقق لهذه المدنية الحديثة ، مع الطبيعية المادية ، لم يتحقق إلا فى ظاهر أمره ، ولكنه انهار فى حقيقة هذا الأمر ، بدليل موجة (التدمير) التى تجتاح هذه المدنية ، سواء فى ذلك تدمير النفس ، من خلال الأرق والقلق ، اللذين تحدثنا عنهما ، فى كتب السلسلة السابقة ،

والذين يدفعان إلى الانتحار ، بشكل لافت للنظر ، يتزايد عاما بعد عام ، فى هـذه المجتمعات المتقدمة .. وسواء فى ذلك تدمير الآخرين ، كما نراه فى (الصراع) بين أبناء المجتمع الواحد ، وزيادة موجة العنف ، بشكل صار معه علماء الاجتماع ، يربطون بين التقدم الحضارى ، وزيادة العنف ، وهو ربط ، لا يقوم على أساس ، إذ المعقول أن يؤدى التقـدم الحضارى ، إلى سلام مع النفس ومع الغير ، لو كان هذا التقدم الحضارى شاملا ، لا مبتوراً ، كما هو الشأن فى فى الحضارة المعاصرة .

والصراع بين أبناء المجتمع الواحد ، موجود فى النظم الرأسمالية ، وفى النظم الاشتراكية (الشيوعية) ، على السواء ، وليس بقاصر على النظم الرأسمالية ، بدليل (تسلط) الطبقات بعضها على بعض ، فى النظم الاشتراكية ، تسلطا يكون تأثيره أكبر وأخطر ، من تسلطها فى النظم الرأسمالية ، لأنه تسلط يدفع إليه النظام السائد ويحميه ، ولا يكون من (وراء ظهر) هذا النظام ، كما نرى فى الرأسمالية .

وهذا السلام المفتقد مع الآخرين ، فى داخل المجتمع المتقدم الواحد ، رأسماليا كان أو شيوعيا ، نراه مفتقداً بين المجتمع ككل ، وبين المجتمعات الأخرى ، بدليل الحروب الباردة والحروب الساخنة ، التى نراها بين أتباع هذه الدول وتلك ، فى العالم الثالث ، وبدليل (خشية) الحرب ، وماتؤدى إليه من توتر ، واستعداد دائم ، تتبعه أعصاب مشدودة دوما .. بين بلد متقدم وآخر ...

أما السلام الإسلامى ، فهو السلام الحق ، لأنه ينبع من داخـــل (ضمير) الإنسان المسلم ، ويشع من هذا الضمير ، على ماحول هذا الإنسان المسلم ، فيكون على الأرض سلام حقيقى ، لا يهدده إلا وجود تهديد

لهذا السلام من الخارج ، فتكون الحرب المقدسة ، لا من أجل العدوان ، كما نرى فى النظم الأخرى ، ولكن من أجل حفظ السلام وحده :

— « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم، لا تعلمونهم، الله يعلمهم،وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله ، يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله،إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك ، فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ،ما ألفت بين قلوبهم ،ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم »(١).

ومعنى ذلك، أن الإسلام وحده ، هو القادر على تحقيق هذا (السلام) — المطلب الإنسانى الأساسى والملح اليوم ،وأن النظم والديانات الأخرى، لا تحقق منه شيئا ، وإن رفعه كل منها ، شعاراً له .

لقد فشلت المسيحية فى زرعه ، لأنها أقامت (حرباً) بين الإنسان وعالمه الطبيعى ،كما فشلت اليهودية — قبلها — فى زرعه ، لأنها أقامت (حرباً) بينها وبين المجتمعات الأخرى — غير اليهودية ،كما فشلت كل من الرأسمالية والشيوعية فى زرعه، لأن كلا منهما قامت على (الصراع) بين الناس ، سواء كانوا أفراداً فى داخل المجتمع الواحد ،كما نرى فى الرأسمالية ، أو كان هذا صراع بين المجتمع ، وغيره من المجتمعات ، كما نرى فى الاشتراكية (الشيوعية) .

بذلك استطاع الإسلام،أن يترجم المبدأ المثالى ، الذى رأيناه فى كتاب سلسلة السابق ، وهو مبدأ (الربانية)،ومبدأ (التراحم) النابع منه ،إلى واقع

---

(١) قرآن كريم : الانفال — ٨ : ٦٠ — ٦٣ .

حى ، من خلال (سياسته) للسلم ، فرداً وجماعة ، على نحو ما رأينا فى هذا الكتاب .

* * *

والولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتربع على عرش العالم اليوم ، قوة وتقدما وازدهارا وبسط نفوذ .. هى بلاد (التقاليع) . ولقد كانت آخر تلك (التقاليع) ، ما أذيع فيها وعنها مؤخرا ، من إنشاء ناد فيها ، لأصحاب الملايين ، وهو ناد يضم خمسمائة وعشرين ألف (٥٢٠ر٠٠٠) مليونير أمريكى ، ى بمعدل مليونير أمريكى واحد ، لكل أربعمائة (٤٠٠)مواطن أمريكى .

وعدد أصحاب الملايين فى الولايات المتحدة، آخذ فى التصاعد ، فقدكان عدد صحاب الملايين فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٩، هو ١٢١ر٠٠٠، ثم صار هذا العدد عام ١٩٧٢ ، أى بعد ثلاث سنوات فقط ، هو ١٨٠ر٠٠٠ ، أى أنه تزايد فى ثلاث سنوات ، بنسبة تزيد على ١٥٪ ، قبل أن يصل إلى عدده الأخير ، سنة ١٩٧٨ (٥٢٠ر٠٠٠) .

وبعملية حسابية بسيطة ، نستطيع أن نرى أن عام ٢٠٠٠ لن يأتى ، إلا ويكون كل أبناء أمريكا ، من أصحاب الملايين ، وأن (المليونير) سيكون فى أمريكا ، عديم القيمة ، فى ذلك الوقت، وأن (نادى أصحاب الملايين)، سيكون نادى الفقراء ، لأن ناديا جديدا لابد أن ينشأ وقتئذ ، هو (نادى أصحاب البلايين) .

وتوزع (التقليعة) أصحاب الملايين هؤلاء ، على الولايات ، فترى أن أصحاب الملايين هؤلاء ، ترتفع نسبتهم فى ولايات ثلاث ، هى ولاية نيويورك، التى تستأثر وحدها، بـ ٥١ر٠٣١ مليونير ، تليها ولاية كاليفورنيا، التى تضم ٣٣ر٥٠٩ مليونير، ثم ولاية إلينوى ، التى تضم ٣١ر١٣٨ مليونير .

ومجموع أصحاب الملايين فى الولايات الثلاث، هو ٢١٥٫٦٧٨ مليونيرا، وهو ما يمثل ٤٢٪ تقريباً من أصحاب الملايين فى الولايات المتحدة ، أما الـ ٥٨٪ المتبقون منهم ، فإنه ينتشرون ، بين الولايات الأمريكية الأخرى ، الثمانية والأربعين .

وانتشار أصحاب الملايين فى مجتمع ، ظاهرة طبيعية ، كظاهرة انتشار الفقراء فيه ، وهى الثمرة الطبيعية للتقدم المادى ، وللقدرة على السيطرة على الطبيعة ، وللنشاط الاقتصادى، فى الصناعة والزراعة والتجارة .

فالقضية ليست قضية انتشار أصحاب الملايين فى مجتمع ، بقدر ما هى قضية (السياسة)، التى أدت إلى وجود هذه الظاهرة ، والنتيجة التى حققتها فى حياة المجتمع الأمريكى .

والتاريخ القريب للولايات المتحدة ، وكل تاريخها قريب ، إذ لا يزيد عمرها السحيق ، على أربعمائة سنة ، على أحسن الفروض ، إذ اكتشفها كل من خريستوفر كولمبس (١٤٥٢ — ١٥٠٦) ، وفاسكودى جاما (١٤٦٩ - ١٥٢٤) ، وماجلان ، فى رحلته الشهيرة حول العالم، التى استمرت ثلاث سنوات ، من سنة ١٥١٩ إلى سنة ١٥٢٢ .

وقد أدى اكتشافها ، إلى بدء الهجرة الأوربية إليها ، وكانت البداية ، إنشاء مستعمرة فرجينيا الانجليزية ، سنة ١٦٠٧ ، ثم زادت هذه الهجرة ، بعد الاضطرابات الدينية فى أوربا، فى مطلع القرن السابع عشر، إثر الإصلاح الدينى سنة ١٥١٥ .

وكانت أمريكا تابعة للتاج البريطانى ، ثم انفصلت عن هذا التاج، فى الرابع من يولية سنة ١٧٧٦ ، إثر مؤتمر فيلادلفيا .

وخاضت الولايات المتحدة — بعد حرب الاستقلال — سلسلة حروب،

منها حروبها المشهورة ضد الهنود الحمر ، حتى أبادتهم ، ثم حرب التوحيد ، التى انضمت فيها الولايات — المستعمرات سابقاً — فى اتحاد واحد ، هو الذى تعرف به حالياً .

أى أن تاريخ أمريكا الحقيقى ، لا يعود إلى أكثر من قرنين اثنين من الزمان .

وفى هذين القرنين ، بنى الاقتصاد الأمريكى ، على إبادة الهنود الحمر ، أصحاب الأرض ، وعلى جلب الرقيق من أفريقيا .. لزراعة هذه الأرض . أى أن الاقتصاد الأمريكى قد بنى على (الاغتصاب) .. ثم على التقدم العلمى ، بعد ذلك .

ولازال (الاغتصاب) ، هو العمود الفقرى ، الذى يقوم عليه ، الاقتصاد الأمريكى ، مستعينا بهذا التقدم العلمى ، بطبيعة الحال .

ويعتبر هذا (الاغتصاب) ، هو (ديناميه) الحياة الأساسية ، فى الولايات المتحدة ، فالغنى يغتصب الفقير ، والقادر يغتصب غير القادر ، ومن أجل ذلك ، كانت ظاهرة انتشار الجريمة ، بشكل لافت للنظر ، ومتزايد ، فى هذه الولايات المتحدة .

ويعتبر هذا الاغتصاب أيضاً ، هو (ديناميه) تعامل الولايات المتحدة مع الخارج ، وإثارتها القلاقل والاضطرابات ، فى بلاد العالم الثالث ، حتى تظل متخلفة ، وتظل حكوماتها على ولاء لها ، وحتى تظل - بالتالى - قادرة على اغتصاب ما منحها الله من موارد طبيعية — هى قصة معروفة اليوم .

وكانت النتيجة التى حققتها هذه (الديناميه) ، فى حياة المجتمع الأمريكى ، ما نعرفه من قلق واضطراب ، وانعدام للأمن .

ترى — والحال هذه : هل تغدو ظاهرة انتشار أصحاب الملايين ، فى الولايات المتحدة ، أمراً يدعو إلى الفخر ، أم تراه يدعو إلى الرثاء ؟

إن المال كان — ولا يزال — وسيلة ، وهو ليس — ولم يكن فى يوم من الأيام — غاية . إنه كان — ولا يزال — (وسيلة) لإسعاد الإنسان ، وعندما يتحول إلى (غاية) ، كما هو اليوم فى الولايات المتحدة ، فإن نهاية طريقه ، تكون شقاء هذا الإنسان ، كما نرى صورة مجسدة لهذا الإنسان الشقى اليوم ، فى الولايات المتحدة ، بلد أصحاب الملايين .

فللمسلم أن يفخر (بديناميات) مجتمعه ، التى تقوم على أساس (الإنسانية)[١] ، جنباً إلى جنب مع قيامها على أساس (الربانية)[٢] ، على نحو ما رأينا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، فليست (الإنسانية) نقيض (الربانية) فى الإسلام ، وإنما هى (الثمرة) الطبيعية ، لهذه (الربانية)[٣] .

ونتيجة لذلك ، يعيش الإنسان المسلم ، فى ظل هذه (الدينامية) ، (إنساناً) ، يحس بكرامته ، ويحس بانتمائه إلى مجتمعه ، وإلى هذا العالم ، الذى يعيش فيه هذا المجتمع ، بإطاريه ، الفيزيقى والميتافيزيقى ، معاً .

ويحس الإنسان المسلم — فى حياته تلك — بسلام مع نفسه ، وسلام مع مجتمعه ، وسلام مع الكون الذى يعيش فيه ، ينعكس على نفسه ، برداً وطمأنينة ، نراهما فى ذلك (الرضى) رغم الفقر والضيق ، ورغم المضايقات ، وهو رضى كذلك الرضا ، الذى كنا نراه مرتسما على وجه المسلم ، مصحوباً

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الاسلامى ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

بالشكر العميق لله سبحانه ، أيام القوة والعزة وبسط النفوذ ، فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة .

* * *

وتنبع (دينامية) الحياة فى المجتمعات المعاصرة ، من أحد مصدرين اثنين ، لا ثالث لهما ، أولهما هو الفرد – دون ما تدخل من الدولة — أو المجتمع ، وثانيهما ، هو الدولة ، بوصفها ممثلا المجتمع ، دون ما إرادة من الفرد .

ومن ثم تقوم كل من الديناميتين ، على أساس (الفصل) بين الفرد والمجموع ، وهو فصل لا يمكن أن يتحقق فى الواقع .

ومن ثم كانت النتيجة ، (سوء علاقة) بين الفرد والمجموع ، متمثلة فى انتشار الأنانية ، والتمرد ، واللجوء إلى العنف .

وقد يكون ذلك كله ، نتيجة لهذا الفصل المصطنع ، بين (البعض) و (الكل) ، إذ القضية ذات شقين ، على حد تعبير هانز ، ومن ثم وجب (البدء) بشق منهما ، على أن تصل إلى الشق الآخر . أما شقها الأول ، فهو حرية الفرد ، وأما الثانى ، فهو مصلحة الجماعة ، « لأن كلا منهما لو طبق وحده ، لا يفى بالغرض »(١) .

وقد يكون ذلك — وهذه هى وجهة نظرى أيضاً — نتيجة لانعدام (المثل الأعلى) ، أمام الفرد والمجموع على السواء ، من وجهة نظر الفيلسوف

---

(1) HANS, NICHOLAS: Op. Cit., p. 137.

الأمريكى المعروف ، فيليب فينكس ، التى رأيناها ، فى نهايات حديثنا عن (دينامية النشاط السياسى الإسلامى) ، فى الفصل الرابع(١) .

فالله سبحانه ، وهو (المثل الأعلى) فى الإسلام ، يعيش حياً فى ضمير المسلم ، فرداً وجماعة .

ومن ثم (يتحد) الفرد مع الجماعة ، كما (تتمثل) الجماعة فى الفرد ، من خلال هذا (القاسم المشترك) بينهما ، وهو قاسم لا يمكن أن يكون مشتركا على هذا النحو الرائع ، إلا فى الإسلام ، الذى (يوحد) الفرد مع ذاته ، حين يجعل العمل عبادة ، والسعى فى طلب العلم عبادة ، والصلاة عبادة ، والجهاد عبادة ، ويجعل (تبسمك فى وجه أخيك صدقة) ، على حد تعبير الرسول الكريم ﷺ — كما يوحد — من ثم — بين الفرد والمجتمع ، وبين الكون كله ، بشطريه ، الفيزيقى والميتافيزيقى .

فللمسلم أن يفخر (بديناميات) مجتمعه ، التى جعلت العسير فى حياة الآخرين ، سهلا ، بل هو الأمر المشروع وحده ، وبذلك حلت القضية — قضية الإنسان / المجتمع ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، حلا ، لم تستطع النظم الوضعية ، أن تصل إلى بعض منه ، برغم تقدمها العلمى والتكنولوجى ، وسيطرتها — من خلاله — على الطبيعة ، وعلى العلوم الاجتماعية أيضاً .

* * *

والعلاقة بين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، علاقة غريبة ، فى عالمنا المعاصر ، ومرجع غرابتها ، هو ذلك (الانفصال) ، الذى تبدو عليه العلاقة ،

---

(١) ارجع الى ص ١١٤ ، ١١٥ من الكتاب .

بين هـذه الأوجه من النشاط ، فى المجتمعات المعاصرة ، مع أنها - جميعاً - متكاملة بطبيعتها ، وكل منها مجرد (مظهر) ، (لحقيقة) واحدة ، هى (المجتمع) ، و (الحالة) التى هو عليها ، من التقدم أو التأخر ، ومن التماسك أو التفكك ، على نحو ما رأينا عند حديثنا عن (معنى السياسة) ، فى الفصل الرابع(١) .

وتـكون نتيجة هذا (الانفصال) المصطنع ، هو (التفسخ) فى (شخصية) الأمة ، وفى شخصية (النظام) القائم ، متمثلا فى سيطرة المادية ، على كل المجتمعات المعاصرة ، على نحو ما رأينا فيما سبق منذ قليل(٢) ، ومتمثلا — أيضاً — فى انعدام الأمن والطمأنينة ، وسيطرة القلق على بنى آدم ، برغم التقدم المادى الهائل(٣) ، ومتمثلا — أخيراً — فى تهديد المدنية المعاصرة ذاتها ، لأن التقدم التكنولوجى ، لم يقف أثره عند حد الاستخدامات المدنية السلمية، بل إنه — فى حقيقة أمره — يسبق هذه الاستخدامات المدنية ، فى مجالات الحرب ، حتى صار المخزون من أسلحتها الاستراتيجية والنووية ، فى دولة واحدة كبرى ، يكفى لتدمير العالم كله ، لو أتيح له أن ينفجر . . وما أسهل أن ينفجر ، فى عصر ضاق فيه الإنسان بنفسه ، وهجم القلق على أعصابه ، حتى مزقها شر ممزق . . كما هو الحال ، فى عصرنا الذى نعيش فيه .

ولقد قامت «دولة الإسلام» ، فى أقل من ثلث قرن من الزمان، مكتسحة أوثان الجزيرة العربية ، ومحطمة أوثان أكبر امبراطوريتين معاصرتين لها، وهما أمبراطوريتا الفرس والروم . . وتـكونت الحضارة الإسلامية

---

(١) ارجع الى ص ٩٤ — ٩٧ من الكتاب .

(٢) ارجع الى ص ١٤٥ — ١٤٧ من الكتاب .

(٣) ارجع الى ص ١٤٦ ، ١٤٧ من الكتاب .

الكبرى »(١) ، على أساس ، تفتقر إليه الحضارة المعاصرة ... المادية .

وكانت نتيجة هذه الحضارة في حياة المسلمين ، أن « ظل الإسلام خمسة قرون ، من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠ ، يتزعم العالم كله ، في القوة والنظام ، وبسطة الملك ، وفي ارتفاع مستوى الحياة والأدب والبحث العلمي ، والعلوم والطب والفلسفة »(٢) .

وكانت نتيجتها الأهم ، هي ذلك (التكامل) ، الذي حققته في حياة المسلم ، فرداً وجماعة ، وهو تكامل لازم هـذا المسلم ، في عصور قوته وازدهاره ، فلم يتحطم ، ولم يهجم القلق على أعماقه ، فينسفه من الداخل ، كما لازمه ، في عصور ضعفه الراهن ، فلم ييأس ولم يقنط ، ولم تسود في عينيه الحياة ، بل ظل متفائلا ، مستبشرا . . سعيداً بجواره لله ، وسيره على طريقه ، حتى يصل طريقه إلى منتهاه . . وهو واصله بإذن الله ، كما تدل على ذلك مؤشرات كثيرة ، يضطرب بها عالمنا المعاصر ، وإليها أشرنا في مناسبات كثيرة ، في كتب السلسلة السابقة ، ولا نرى داعياً لإعادتها هنا .

إن (العبودية لله) ، هي (الرابطة) الأساسية ، التي تربط بين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد والمجتمع معاً ، والكون بأسره . . كما أنها هي (الرابطة) الأساسية ، التي تربط بين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، ومن ثم كانت (الحاجة) إلى الإسلام اليوم ، حاجة عالمية ملحة ، لا حباً في

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : التربية ومشكلات المجتمع (مرجع سابق) ، ص ١٤٨ .

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، في العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ١٤ ، ١٥ .

الإسلام ، فالجميع يضمرون كراهية عميقة له ، فى الغرب والشرق على السواء ، ويتمنون القضاء عليه قضاء تاماً .

ولكنهم يجدون أنفسهم مضطرين إليه ، اضطرار المريض إلى الطبيب ، واضطراره إلى مر الدواء ، وهو له كاره .

فللمسلم أن يفخر بدينامية الحياة فى مجتمعه ، سواء فى نقائها الأول ، وفى وضعها (المنهتك) الراهن ، لأنها ، حتى فى وضعها المنهتك الراهن ، لا تقل فى دلالتها على حقيقة الإسلام ، عنها فى وضعها المشرق الأول .

لقد كان الإشراق الأول ، نتيجة (للتمسك) بالإسلام ، الذى لم الشمل ، فى إطار (عقيدة التوحيد) ، وأقام السلام الشامل ، المتعدد الجوانب ، الذى أشرنا إليه من قبل(١) ، فكان ازدهار المجتمع الإسلامى ، وازدهار حضارة الإسلام(٢) ، كما كانت سعادة المسلم — فرداً وجماعة ، وكان احترامه فى قلوب محبيه ، وهيبته فى قلوب أعدائه .

ثم إن التهتك فى الوضع الراهن ، يعود إلى (البعد) عنه ، بشموله ، بعد أن انزوى ـ بفعل عوامل كثيرة ، ليس هنا مجالها ـ فى ركن ضيق من حياته ، فصار عاجزاً — رغم وجوده — عن أن يفعل فعله الأول ، فى تحسين حال المسلمين .

فهو تهتك يشرف الإسلام ، بقدر ما يخجل المسلمين .

وبرغم هذا التهتك ، فإنه لولا الإسلام ، لكان المسلمون اليوم ، مجرد أثر بعد عين .

---

(١) ارجع الى ص ١٤٧ ، ١٤٨ من الكتاب .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون (مرجع سابق) ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

فهو « الذى احتفظ لهذه الشعوب بحيويتها الكامنة ، بعد قرون طويلة ، من النوم والاسترخاء ، ومن الضعف والخمود ، ومن الضغط والقسر ، ومن الاحتلال البغيض ، الذى بذل جهده ، لتقطيع أوصالها ، وإخماد أنفاسها »(١) .

ثم هو الذى نراه اليوم يفعل فعله ، فى دفع هذه الحيوية من كمونها ، لتزاول نشاطها ، فى داخل بلاد الإسلام ، كما نرى من حولنا ، فى هذه الديار ، وفى عقر دار الأعداء ، الذين يقودون الحملات الضارية عليه .

فديناميات الحياة فى المجتمع الأمريكى على سبيل المثال ، وهو أكثر المجتمعات الأرضية المعاصرة ، عداوة للإسلام .. تدفع بأبناء هذا المجتمع ، إلى التناحر والتنابز ، بين البيض ، المسيحيين ، مثلما تدعو الأقليات غير المسيحية ، وغير البيضاء ، إلى التماسك ، كالأقلية اليهودية ، والأقلية السوداء .

والأقلية اليهودية (ثمانية ملايين) ، (متواطئة) مع الأكثرية البيضاء ، مما يدفع بالأقلية المضطهدة — السوداء (ثلاثون مليوناً) — إلى اعتناق الإسلام ، دفعاً .

فتدافع السود على الإسلام كبير .. ويتبعه تدافع من البيض عليه أيضا .

ولا يقف هذا التدافع ، عند حد المجتمع الأمريكى ، بل إن هناك تدافعا آخر ، كبيراً ، فى معظم بلاد أوربا ، وخاصة فى انجلترا وفرنسا ، وكذلك فى استراليا .

ويتوقع المراقبون ، ألا يمضى جيل واحد ، حتى تبزغ (شمس الإسلام

---

(١) سيد قطب : فى التاريخ ، فكرة ومنهاج (مرجع سابق) ، ص ٨ .

فى الغرب) ، مرة ثانية ، وأن يصدر الإسلام إلى منطقتنا هذه ، مع المعدات والأدوات التكنولوجية . وهو مجرد توقع ، لا نحاسب القائلين به عليه ، ولا نسائلهم فيه ، وإنما نعذرهم ، أنهم يعيشون بعيدا عن هذه المنطقة ، ولا يعلمون مدى الحيوية الإسلامية فيها .. ويكفى أن المخابرات الغربية ، وخاصة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، لم تلتفت إلى هذا (المارد) الذى انطلق .. إلا بعد ثورة إيران الشابة .

للمسلم أن يفخر (بديناميات) مجتمعه .. الصامدة ، المنتصرة بإذن ربها ، الباقية حتى تقوم الساعة :

— « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون »[1] .

— « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ، فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد »[2] .

---

(١) قرآن كريم : الحجر — ١٥ : ٩ .

(٢) قرآن كريم : غافر — ٤٠ : ٥١ .

مراجع الكتاب

اولا : المراجع العربيـــة :

١ ـ ا . أليكسييف : القانون الاقتصادى ، للرأسمالية الحديثة ـ ترجمة اسماعيل عبد الرحمن ـ دار الفكر ـ ١٩٥٨ .

٢ ـ شيخ الإسلام ، ابن تيميـة : الإيمان ـ صححـه وعلق عليه : الدكتور محمد خليل هراس ـ دار الطباعة المحمدية ، بالأزهر بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٣ ـ أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية ـ نقله إلى العربية : أحمد إدريس ـ الطبعـة الأولى ـ المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٤ ـ أبو الأعلى المودودى : تدوين الدستور الإسلامى ـ الطبعـة الثانية ـ دار الفكر ـ دمشق (بدون تاريخ) .

٥ ـ أبو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور ـ رقم (٧) من (صوت الحق) ـ دار الجهاد ودار الاعتصام ـ ١٩٧٧ .

٦ ـ الإمام الأعظم ، أبو حنيفة ، رضى الله عنه : العالم والمتعـلم ـ تحقيق محمد رواس قلعجى ، وعبد الوهاب الهندى الندوى ـ رقم (٢) من (تراث الإسلام) ـ الطبعـة الأولى ـ مكتبة الهدى بحلب ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٧ ـ أحمد أمين : « الإنسانية والقومية » ـ **فيض الخاطر** ـ الجزء الثالث ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٢ .

٨ — أحمد أمين : « منطق العقل ، ومنطق الدنيا » - فيض الخاطر - الجزء السادس — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥.

٩ — الدكتور احمد حسن عبيد : « تعليم الكبار ، عبر العصور » — علم تعليم الكبار — الجزء الأول — الجهاز العربى ، لمحو الأمية وتعليم الكبار — ١٩٧٦ .

١٠ — آرثر تيدمان : اليابان الحديثة - ترجمة وديع سعيد - مراجعة على رفاعة الأنصارى - رقم (٢٢٢) من (الألف كتاب) - مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) .

١١ — ألدوميبلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى - نقله إلى العربية : الدكتور عبدالحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى - قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى - جامعة الدول العربية — الإدارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — ١٩٦٢ .

١٢ — السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم ، وانحراف العلماء - رقم (٤) من (موسوعة وحدة الدين والفلسفة والعلم) - دار نهضة مصر للطبع والنشر — ١٩٦٩ .

١٣ — الشيخ بكرى : « التخطيط التربوى ، عملية توفيق ، بين الإنسان ومستقبله » — التربية الجديدة — مجلة فصلية ، تعالج شؤون التخطيط والتجديد فى التربية - السنة الأولى - العدد الثالث - آب (أغسطس) ١٩٧٤.

١٤ — العهد الجديد .

١٥ — الله فى العقيدة الإسلامية — من رسائل الإمام الشهيد ، حسن البنا — دار الشهاب — ١٩٧٧ .

١٦ — المعجم الوسيط ـ قام بإخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ـ وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

١٧ — المعجم الوسيط ... الجزء الثانى ... ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

١٨ — إلياس أنطون الياس ، وإدوار ا . إلياس : القاموس العصرى ، عربى / انكليزى — الطبعة التاسعة — المطبعة العصرية بالقاهرة — ١٩٧٠ .

١٩ — آن تيرى هوايت : الأنهار العظيمة فى العالم ـ ترجمة وتقديم العميد ا . ح . عبد الفتاح ابراهيم — إشراف ومراجعة الدكتور محمد صابر سليم — رقم (١٨) من سلسلة (كل شىء عن) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٤ .

٢٠ — الدكتور أنور عبد العليم : قصة التطور — رقم (٤) من (المكتبة الثقافية) — دار القلم ومكتبة النهضة (بدون تاريخ) .

٢١ — برتراندرسل : النظرة العلمية — تعريب عثمان نويه — مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن ـ الجامعة العربية ـ الإدارة الثقافية ـ مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) .

٢٢ — برتراندرسل : نحو عالم أفضل ـ ترجمة ومراجعة درينى خشبة وعبد الكريم أحمد — رقم (٦٨) من مشروع (الألف كتاب) — العالمية للطبع والنشر (بدون تاريخ) .

٢٣ — بطرس البستانى : كتاب دائرة المعارف ـ المجلد الحادى عشر ـ مطبعة الهلال بمصر — ١٩٠٠ .

٢٤ — بيانات الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء ، فى مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ — المجلد الأول — المطبعة الأميرية بالقاهرة — ١٩٥٧ .

٢٥ — تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٢ (صورة الذات ، وتطلعات شعوب العالم) — إعداد اللجنة الدولية ، بإشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخرين — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ .

٢٦ — تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الأول — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م (بدون ناشر) .

٢٧ — تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الرابع — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م (بدون ناشر) .

٢٨ — ثيا وريتشار برجير : من الحجارة إلى ناطحات السحاب (قصة العمارة) - ترجمة المهندس محمد توفيق محمود - دار النهضة العربية - ١٩٦٢ .

٢٩ — جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة - وزارة الإرشاد القومى - الهيئة العامة للاستعلامات (بدون تاريخ) .

٣٠ — جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى - ترجمة وتقديم راشد البراوى — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٢ .

٣١ — جورج كاونتس : التعليم فى الاتحاد السوفيتى — ترجمة محمد بدران — مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) .

٣٢ — جوزيف شومبيتر الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية ـ تعريب وتعليق خيرى حماد ـ الجزء الأول — العدد (١٨١) من (اخترنا لك) — الدار القومية للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

٣٣ — الدكتور حامد عمار : فى اقتصاديات التعليم — مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ .

٣٤ — الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (أبحاث فى العقيدة الإسلامية ، ومنهج الدعوة إلى الله) — رقم (١) من (كتاب الدعوة) — دار الطباعة والنشر الإسلامية — ١٩٧٧ .

٣٥ — دكتور حسن حسنى أبو السعود : « النظائر المشعة ، فى خدمة الصناعة » — الذرة فى خدمة السلام — مجموعة المحاضرات ، التى ألقيت بالمؤتمر السنوى السادس والعشرين ، للمجمع المصرى ، للثقافة العلمية ، الذى عقد فى المدة من ٣١ مارس إلى ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ — رقم (٢٧) من (الألف كتاب) — مكتبة نهضة مصر (بدون تاريخ) .

٣٦ — الدكتور حسن كيرة : أصول القانون — من (المكتبة القانونية) — الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر — ١٩٥٨ .

٣٧ — خالد محمد خالد : من هنا نبدأ — الطبعة الثانية — دار النيل للطباعة — ١٩٥٠ .

٣٨ — رينيه ديكارت : مقال عن المنهج ـ ترجمة محمود محمد الخضيرى ـ الطبعة الثانية — راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى — من (روائع الفكر الإنسانى) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ ١٩٦٨ .

٣٩ — سام وبريل أيشتين : إنسان ما قبل التاريخ ـ ترجمة أحمد محمد

عيسى — مراجعة الدكتور كامل منصور — رقم (٢٢) من سلسلة (كل شيء عن) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٥ .

٤٠ — دكتور سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى — عالم الكتب — ١٩٧٠ .

٤١ — دكتور سعد مرسى أحمد ، ودكتور سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم — عالم الكتب — ١٩٧٢ .

٤٢ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ .

٤٣ — سيد قطب : الإسلام ، ومشكلات الحضارة — دار الشروق (بدون تاريخ) .

٤٤ — سيد قطب : السلام العالمى والإسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

٤٥ — سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ .

٤٧ — سيد قطب : فى التاريخ . . فكرة ومنهاج — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

٤٧ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول (الأجزاء ١ — ٤) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٤٨ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (الأجزاء : ٥ — ٧) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٤٩ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ - ١١)- الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥٠ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع (الأجزاء : ١٢ - ١٨) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥١ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء : ١٩ - ٢٥) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥٢ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (الأجزاء : ٢٦ — ٣٠) - الطبعة الشرعية — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٥٣ — سيد قطب : معركة الإسلام والرأسمالية — الطبعة الخامسة — دار الشروق — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

٥٤ — شارل بتلهايم : الانتقال إلى الاقتصاد الاشتراكى — كتاب رقم (٩) من سلسلة (الاقتصاد والاشتراكية) — وزارة الإرشاد القومى (الهيئة العامة للاستعلامات) — ١٩٧٠ .

٥٥ — العلامة شمس الدين بن القيم : الجهاد فى سبيل الله (منقولة من كتاب « زاد المعاد » « باب الجهاد ») - دار الفتح ، للطبع والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

٥٦ — طه حسين : مستقبل الثقافة بمصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ .

٥٧ — عباس محمود العقاد : أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٥ .

٥٨ — عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين ، حاضره ومستقبله - الطبعة الثانية - دار الكتاب العربى - بيروت - فبراير ١٩٦٩ .

٥٩ — عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الإسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ .

٦٠ — عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن — دار الإسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ .

٦١ — عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام ، وأباطيل خصومه — دار الإسلام — القاهرة — ١٩٥٧ .

٦٢ — عباس محمود العقاد : عبقرية عمر - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .

٦٣ — عباس محمود العقاد : محمد عبده - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والتعليم - ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .

٦٤ — عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار : الشيوعية والإسلام — الطبعة الثانية — مطابع دار الأندلس ، للطباعة والنشر — بيروت — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٦٥ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى - الطبعة الثانية — لجنة البيان العربى — ١٩٦٦ .

٦٦ — الدكتور عبد الحليم الرفاعى : الاقتصاد السياسى — الجزء الأول — الطبعة الأولى — ١٩٣٦ (بدون ناشر) .

٦٧ — الدكتور عبد الحميد سماحة ، والدكتور عدلى سلامة : الفلك

والحياة - رقم (٥) من (المكتبة الثقافية) - دار القلم بالقاهرة - ١٥ ديسمبر ١٩٦١ .

٦٨ - العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - المطبعة الشرفية - ١٣٢٧ هـ .

٦٩ - عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة - الطبعة الأولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

٧٠ - عبد الرزاق نوفل : السماء ، وأهل السماء - الطبعة الأولى - مطبوعات دار الشعب - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٧١ - دكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل ، فى الإسلام - مؤسسة الرسالة ومكتبة الأقصى - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٧٢ - دكتور عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة - الكتاب الثامن من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - يونية ١٩٧٩ .

٧٣ - دكتور عبد الغنى عبود : الإسلام والكون - الكتاب الثالث من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - مايو ١٩٧٧ .

٧٤ - دكتور عبدالغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة - الطبعة الثانية - دار الفكر العربى - ١٩٧٨ .

٧٥ - دكتور عبدالغنى عبود : « التربية ، ومحو الأمية الأيدلوجية » -

تعليم الجماهير — مجلة متخصصة، تصدر عن الجهاز العربي، لمحو الأمية وتعليم الكبار — السنة الثالثة - العدد السادس — مايو ١٩٧٦.

٧٦ — دكتور عبد الغنى عبود : التربية، ومشكلات المجتمع - الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٠.

٧٧ — دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الإسلامية، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٦.

٧٨ — دكتور عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٧.

٧٩ — دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة، للمجتمع الإسلامى — الكتاب التاسع من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨٠.

٨٠ — دكتور عبد الغنى عبود : اليوم الآخر، والحياة المعاصرة — الكتاب الخامس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يولية ١٩٧٨.

٨١ — دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله، والحياة المعاصرة - الكتاب السادس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨.

٨٢ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة، لتاريخ التربية - الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨.

٨٣ - دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى - الكتاب السابع من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - يناير ١٩٧٩ .

٨٤ - عبد الفتاح الديدى : فلسفة هيجل - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٠ .

٨٥ - الدكتور عبد الكريم درويش : « القيادة الإدارية والتنمية » - مجلة تنمية المجتمع - يصدرها مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى - المجلد الثانى عشر - ١٩٦٥ - العددان الثالث والرابع .

٨٦ - الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية - من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق - مطبعة جامعة دمشق - ١٩٦٠ .

٨٧ - الدكتور عبد المنعم أبو بكر : إخناتون - رقم (٣٥) من (المكتبة الثقافية) - وزارة الثقافة والإرشاد القومى - الإدارة العامة للثقافة - دار القلم بالقاهرة - ١٥ أبريل ١٩٦١ .

٨٨ - الدكتور عبد المنعم شوقى : تنمية المجتمع وتنظيمه - الطبعة الثالثة - مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٦٣ .

٨٩ - د . عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى - دار الفكر العربى - ١٩٦٨ .

٩٠ - د . عماد الدين خليل : « القرآن الكريم والمسألة الاجتماعية (خطوط عريضة) » - المسلم المعاصر - فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية - العدد العاشر - أبريل مايو - يونيو ١٩٧٧ .

٩١ — فتحية حسن سليمان : التربيـة عند اليونان والرومان — مكتبة نهضة مصر (بدون تاريخ) .

٩٢ — الدكتور فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو ، من الطفولة إلى الشيخوخة — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ .

٩٣ — د . فؤاد زكريا : آراء نقدية ، فى مشكلات الفكر والثقافة — الهيئة المصرية العامة للـكتاب — ١٩٧٥ .

٩٤ — فيليب هـ . فينكس : التربيـة والصالح العام — ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل - مراجعة محمد سليمان شعلان - تقديم السيد يوسف - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والتعليم - ١٩٦٥.

٩٥ — قرآن كريم .

٩٦ — ك . ر : تيلر : الـكيمياء والإنسـان — ترجمة الدكتور حسن عابدين - مراجعـة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل - رقم (٤٤١) من (الألف كتاب) — دار الهلال — ١٩٦٢ .

٩٧ — ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية — ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - مراجعـة أحمد خاكى - من الفكر السياسى والاشتراكى - الجمهورية العربيـة المتحدة — وزارة الثقافة والإرشاد القومى — الإدارة العامة للثقافة — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

٩٨ — كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين — ترجمـة عثمان نويه — تقـديم صلاح دسوقى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ .

٩٩ — لين بول : آفاق العلم — ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة — مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٠ .

١٠٠ — ماركس وانجلس : بيان الحزب الشيوعى — دار التقدم — موسكو — ١٩٦٧ .

١٠١ — ماكوتو آسو ، وإيكوو آماتو : التعليم ، ودخول اليابان العصر الحديث — سفارة اليابان ، بجمهورية مصر العربية — ١٩٧٦ .

١٠٢ — الإمام محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع — دار الفكر العربى — ١٩٧٥ .

١٠٣ — الإمام محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

١٠٤ — الأستاذ الشيخ ، محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار ، التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم ، وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم) - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

١٠٥ الدكتور محمد البهى : الإسلام فى حياة المسلم - الطبعة الخامسة - مكتبة وهبة — رجب ١٣٩٧ هـ — يونية ١٩٧٧ م .

١٠٦ — محمد الحسنى : الإسلام الممتحن — تقديم المفكر الإسلامى الكبير ، أبو الحسنى الندوى - الطبعة الأولى - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٠٧ — محمد جلال كشك : الغزو الفكرى - من سلسلة (مفاهيم إسلامية) - الطبعة الثانية - الدار القومية ، للطباعة والنشر ، بالقاهرة - مارس ١٩٦٦ .

١٠٨ — محمد شديد : قيم الحياة ، في القرآن الكريم — مطبوعات دار الشعب — ١٣٩٣ — ١٩٧٣.

١٠٩ — الدكتور محمد عبد المنعم خميس : « تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية » — مجلة تنمية المجتمع — يصدرها مركز تنمية المجتمع ، في العالم العربي — المجلد الثاني عشر — ١٩٦٥ — العددان الثالث والرابع .

١١٠ — محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام — الطبعة الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١١١ — محمد قطب : شبهات حول الإسلام — الطبعة العاشرة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١١٢ — مولاى محمد على : الإسلام ، والنظام العالمى الجديد — ترجمة أحمد جودة السحار — الطبعة الثانية — لجنة النشر للجامعيين — مكتبة مصر (بدون تاريخ) .

١١٣ — محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب : أوضح التفاسير — الطبعة الخامسة — المكتبة التجارية الكبرى — شعبان ١٣٧٥ — مارس ١٩٥٦ .

١١٤ — محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الإسلام — رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى إسلامى) — المختار الإسلامى — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

١١٥ — الدكتور محمد منير مرسى : الاتجاهات المعاصرة ، فى التربية المقارنة — عالم الكتب — ١٩٧٤ .

١١٦ — الدكتور محمد يوسف حسن : قصة كوكب — رقم (٦٨) (من المكتبة الثقافية) — دار القلم بالقاهرة — أول سبتمبر ١٩٦٢ .

١١٧ — الدكتور محمود أحمد الشافعي : «التخطيط القومي ، ومستلزماته من التدريب والمتدربين » — **ابحاث فى التدريب على تنمية المجتمع** — الحلقة الدراسية ، للتدريب على تنمية المجتمع ، فى الدول العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ — مركز تنمية المجتمع،فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ .

١١٨ — الإمام الأكبر ، محمودشلتوت : الإسلام ، عقيدة وشريعة ـ الطبعة التاسعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧م .

١١٩ — الدكتور محي الدين صابر ، والدكتور لويس كامل مليكة : « التدريب : مضمونه ، ووسائله ، وتقويمه » — **ابحاث فى التدريب على تنمية المجتمع** — الحلقة الدراسية للتدريب على تنمية المجتمع ، فى الدول العربية — القاهرة ١٩٦٣ — مركز تنمية المجتمع ، فى العالم العربى — سرس الليان — ١٩٦٤ .

١٢٠ — مختار الصحاح ، للشيخ الإمام ، محمدبن أبى بكر بن عبد القادر الرازى — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر — ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م .

١٢١ — الدكتور مصطفى أبو الفتوح أحمد : « أثر العوامل البيئية ، فى إدار التنمية » — **مجلة تنمية المجتمع** — يصدرها مركز تنمية المجتمع، فى العالم العربى — المجلد الثانى عشر — ١٩٦٥ — العددان الثالث والرابع .

١٢٢ — مصطفى أمين : تاريخ التربية — الطبعة الأولى — مطبعة المعارف ، بشارع الفجالة بمصر — ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م .

١٢٣ — دكتور مصطفى فهمى : سيكولوجية الطفولة والمراهقة ـ الطبعة الثانية ـ لجنة النشر للجامعيين — مكتبة مصر — ١٩٥٥ .

١٢٤ — مصطفى محمود : لماذا رفضت الماركسية ، حوار مع خالد محى الدين — المكتب المصرى الحديث — ١٩٧٦ .

١٢٥ — مقدمة العلامة ابن خلدون — المكتبة التجارية الكبرى (بدون تاريخ) .

١٢٦ — منصور حسين ، وكرم حبيب : التخطيط للتنمية — مكتبة الوعى العربى — ١٩٧٠ .

١٢٧ — ميرزا محمد حسين : الإسلام وتوازن المجتمع - ترجمة فتحى عثمان — رقم (٣٥) من (سلسلة الثقافة الإسلامية) — دار الثقافة العربية للطباعة — ذو القعدة ١٣٨١ هـ — مايو ١٩٦٢ م .

١٢٨ — هـ . ا . ل . فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث (١٧٨٩ — ١٩٥٠) - تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع - (جمعية التاريخ الحديث) — دار المعارف بمصر — ١٩٥٨ .

١٢٩ — الدكتور هارى نيكولز هولمز : قصة الكيمياء ، من خلال أنبوبة الاختبار — ترجمة الدكتور ألفونس رياض ، والدكتور عبد العظيم عباس — مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل - رقم (٢٨٤) من (الألف كتاب) — مكتبة مصر ومطبعتها (بدون تاريخ) .

١٣٠ — هـ . هـ . سوينرتون : الأرض من تحتنا — ترجمه الدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور فتح الله عوض — راجعه الدكتور جلال الدين حافظ عوض — رقم (٥٩٢) من (الألف كتاب) — مؤسسة سجل العرب — ١٩٦٦ .

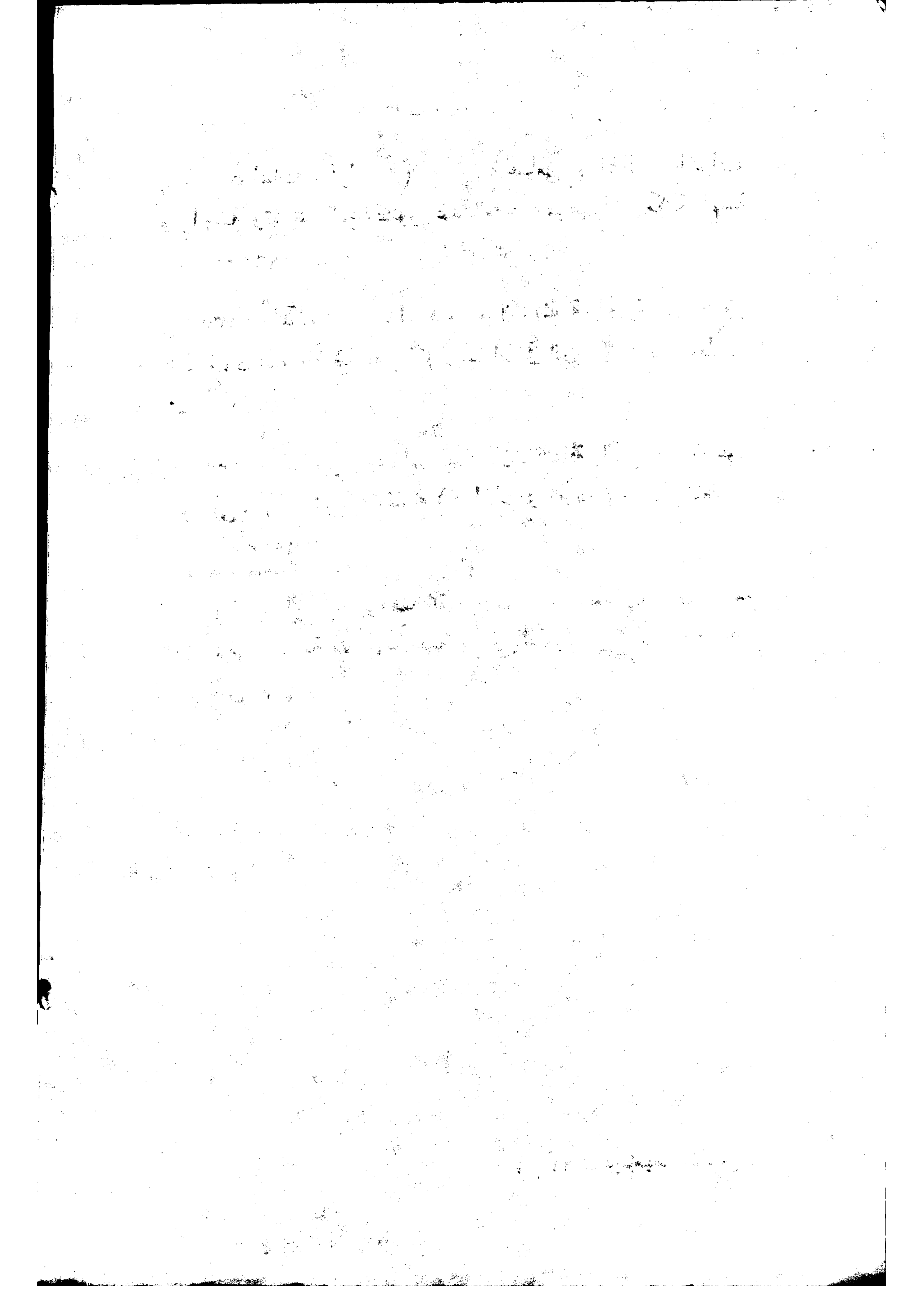
١٣١ — وليم مننجر : النمو الوجدانى والانفعالى — رقم (٤٨) من

(سلسلة دراسات سيكولوجية) — ترجمة سامى على الجمال — إشراف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى — مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٢ .

١٣٢ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ .

١٣٣ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة (دراسات فى التربية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

١٣٤ — الدكتور يوسف القرضاوى : غير المسلمين ، فى المجتمع الإسلامى - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة بالقاهرة - رمضان ١٣٩٧ هـ - أغسطس ١٩٧٧ م .



ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 – Al - Nahda Dictionary, English - Arabic, Compiled by : Ismail Mazhar, Vol. I; First Edition, The Renaissance Bookshop, Cairo (Withont Date).

2 – Al - Nahda Dictionary... Vol II...

3 – ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur - an, Text, Translation and Commentary, Volume Two; The Murray Printing Company, Cambrindge, Massachusetts, 1946.

4 – BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe; Methuen & Co., Ltd., London, 1923.

5 – COUPLAND, R. (Selected by) : The War- Speeches of William Pitt, The Younger; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940.

6 – CHASE, FRANCIS S. : Education Faces New Demands, HORACE MANN Lecture, 1956; University of Pittsburgh Press, 1956.

7 – GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution; The Macmillan Company, New York, 1923.

8 – HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958.

9 – HARBISON, FREDERICK, and MYERS, CHARLES A. : Education, Manpower and Economic Growth, Strategies of Human Resonrce Development; Mc Graw-Hill Book Company, New-York, 1964.

10 – KEENLEYSIDE, HUGH LI. and THOMAS, A. F. : History of Japanese Education, and Present Educational Systems; The Hokuseido Press, 1937.

11 – LENIN, V. I. : The National Liberation Movement in the East; Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1957.

12 – LEOPOLD, A. STRAKER and the Editors of LIFE : The Desert; LIFE Nature Library, Time-Life International (Nederland) N. V., 1963.

13 – MONROE, PAUL : A Cyclopedia of Education, Volume Two, The Macmillan Company, New-York, 1911.

14 – Our World, in Space and Time; Colourama, A Pictorial Treasury of Knowledge; Odhams Press Ltd, London, 1959.

15 – POSPELOV, P. N. (Edited by) : Vladimir Ilyich Lenin, A Biography; Second Edition, Progress Publishers, Moscow, 1966.

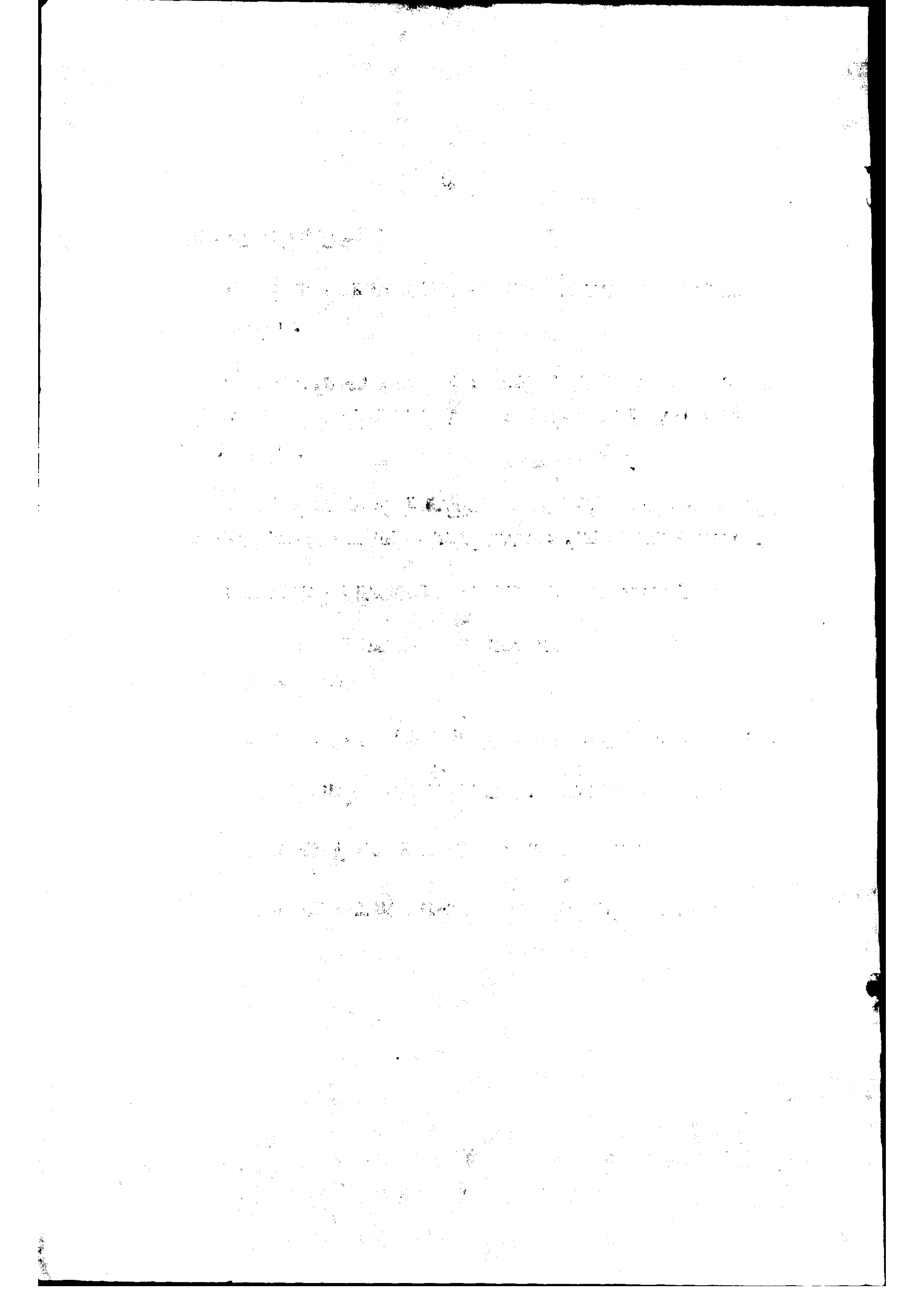
16 – SMITH, WILLIAM A. : Ancient Education, Philosophical Library, New-York, 1955.

17 – SNELL, J. B. : Early Railways (Pleasures and Treasures); Weidenfeld and Nicolson, London, 1967.

18 – The Concise Oxford Dictionary of Current English, Edited by : H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, based on the Oxford Dictionary; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1951.

19 – ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961.

20 – WEST, MICHAEL PHILIP and ENDICOTT, JAMES GARETH : The New Method English Dictionary ; Twenty-fourth Edition, Longman, 1976.



للمؤلف

اولا : من كتب التربيــة :

١ ــ **فى التربيــة المقــارنة** ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ (مع الدكتــورة نازلى صالح) .

٢ ــ **الايديولوجيا والتربيــة ، مدخل لدراسة التربية المقــارنة** ــ دار الفكر العربى ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ ــ **نحو فلسفة عربية للتربيــة** ــ دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النورى) ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ ــ **فى التربية الاسلامية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ .

٥ ــ **فى التربية المعاصرة** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع) .

٦ ــ **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٨ .

٧ ــ **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** ــ دارالفكرالعربى ــ ١٩٧٨ .

٨ ــ **البحث فى التربية** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ .

٩ ــ **التربية ومشكلات المجتمع** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ .

ثانيا: من كتب سلسلة (الإسلام وتحديات العصر)

(وتصدرها كلهـا : دار الفكر العربى)

١ ـ **العقيدة الاسلامية والايديولوجيات المعـاصرة** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ ـ **الله ، والانسان المعـاصر** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعـة الثانية ١٩٨٠ .

٣ ـ **الاسلام والكون** ـ مايو ١٩٧٧ .

٤ ـ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعـاصر** ـ يناير ١٩٧٨ .

٥ ـ **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٨ .

٦ ـ **انبياء الله ، والحياة المعـاصرة** ـ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ـ **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** ـ يناير ١٩٧٩ .

٨ ـ **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٩ .

٩ ـ **الملامح العامة ، للمجتمع الاسلامى** ـ فبراير ١٩٨٠ .

١٠ ـ **ديناميات المجتمع الاسلامى** ـ يونية ١٩٨٠ .

الكتاب التالى من السلسلة :

الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة

يصدر فى مطلع العـام القادم باذن الله

رقم الايداع ٣٦١٩ / ١٩٨٠

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني بالقاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ ـ ٧٤١٦٩٨